التأريخ لنشأة الديانة اليهودية بعصر "الآباء"
وإشكالياته التاريخية في الدراسات العربية المعاصرة

د. علاء صالح هيلات

أستاذ مساعد في العقيدة ومقارنة الأديان

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر – دولة قطر

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة الإشكاليات الناتجة عن التأريخ للديانة اليهودية ونشأتها ابتداءً من عصر "الآباء" إبراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام في بعض الدراسات العربية للديانة اليهودية، ويبحث في مدى توافق ادعاء اليهود بنسبة الديانة اليهودية لعصر "الآباء" مع الأدلة والدراسات التاريخية لعصرهم ولغتهم وعلاقتهم الحضارية بشعوب وأمم منطقة الشرق الأدنى القديم، ومدى توافق وصفهم بالعبرانيين مع اعتبار يهوديتهم، ويبحث في علاقتهم بالديانة اليهودية بشكل عام، ويركز على قضية البعد التاريخي بين عصر "الآباء" وبين الفترة التاريخية التي نشأت فيها الديانة اليهودية، ومنهجية الإسقاط التاريخي في روايات "الآباء" وحياتهم في النص التوراتي وأهدافها، ويلقي الضوء على أهمية الانتباه لهذه القضية أثناء عملية البحث والتأليف التاريخي للديانة اليهودية في الدراسات العربية، وتأثيرها على تصور القارئ العربي لتاريخ الديانة اليهودية، والتناقض التاريخي والديني بين ما يقدمه القرآن الكريم عن هؤلاء الآباء "الأنبياء" وبين ما تقدمه هذه الدراسات العربية.

الكلمات المفتاحية: الآباء، الدراسات العربية، التأريخ للديانة اليهودية، الإشكاليات التاريخية، الإسقاط التاريخي.

Summary

This paper examines the problems arising from writing the history of the Jewish religion and its origins from the era of the "fathers" Abraham, Isaac and Jacob peace be upon them in some Arabic Studies of the Jewish religion, and examines the compatibility of the Jewish claim to the proportion of the Jewish religion of the "fathers" with the historical evidence and studies of their age, language and civilization relationship With the peoples and nations of the ancient Near East, And the extent to which their description of the Hebrews corresponds to their regard as Jewish, and examines their relationship with Judaism in general, and focuses on the issue of the historical dimension between the era of the "Fathers" and the historical period in which Judaism originated, The methodology of historical projection in the fathers' novels and their lives in the Torah texts and its objectives, and , Focuses on the importance of attention to this issue during the process of research and the historical composition of the Jewish religion in Arabic studies, and its effect on the perception of the Arab reader of the history of Judaism, and the historical and

religious contradiction between what the Quran offers about These fathers "prophets" and what these Arab studies offer.

Keywords: Fathers, Arabic Studies, History of Judaism, Historical Problems, Historical Projection

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء السابقين.

ينسب اليهود المرحلة الأولى من مراحل تأسيس دينهم إلى الفترة التاريخية التي يطلقون عليها فترة "الآباء" والشخصيات الكبرى المرتبطة بها، وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ويؤرخون لبداية دينهم من خلال هذه الفترة، في أسفارهم الدينية المقدسة، وكتاباتهم الدينية التاريخية، ويصفونها بفترة "العهد" لأنها تضمنت العهد الإلهي مع هؤلاء الآباء، والذي من خلاله صيغت عقائد الديانة اليهودية من ناحية تأسيسية، فيعتبرون هؤلاء الآباء اليهود الأوائل في تأريخهم الديني لليهودية.[1]

فنجد أن الكتابات اليهودية الدينية والتاريخية تبدأ التأريخ للديانة اليهودية وما تضمنته من أصول اعتقادية وأصول دينية عامة بعصر الآباء، وقد اتبع هذا التقليد اليهودي عدد كبير من الكتاب العرب المعاصرين في دراساتهم للديانة اليهودية أو التأريخ لها أو محاولة تقديمها للقارئ العربي، فقاموا بالتأريخ للديانة اليهودية ابتداءً من عصر الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، الأمر الذي يؤدي إلى عدد من الإشكاليات الدينية والتاريخية على مستوى الدراسات العلمية للديانة اليهودية، وعلى مستوى تلقي القارئ العربي لهذه الدراسات وفهمه للديانة اليهودية وتاريخها وأصولها الدينية وكيفية تصوره الذهني لها.

وعندما يتم الاعتماد على هذه الدراسات في الجانب الأكاديمي والتدريس الجامعي فإن الإشكاليات التي تنتج عنها تؤثر في البناء المعرفي لجيل كامل من طلاب العلم، فضلا عن معارضتها لما قرره القرآن الكريم حيث يثبت أن الديانة اليهودية لا تنسب

---

1 - see: Arthur Hertzberg-great religions of modern man – Judaism George braziller – new York 1962 – p21-22

إلى الآباء أو هؤلاء الأنبياء -حسب الاعتبار القرآني- ولا ينسبون اليها، وأنهم لم يكونوا يهودا، ويثبت تاريخيا أن اليهودية تأسست بعد وجودهم التاريخي.

فيقول الله تعالى في القرآن الكريم: **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).**[1]

ويقول الله تعالى:**(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).**[2]

فهذه الآيات تثبت وتقرر أن اليهودية ديانة نشأت وتأسست بعد عصر الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وبعد عصر بني إسرائيل، مما يؤدي إلى الوقوع في حالة من التناقض بين ما تقدمه هذه الدراسات في التأريخ للديانة اليهودية، وبين ما يقدمه القرآن الكريم من تصور ديني لهؤلاء الأنبياء وعلاقتهم بالإسلام، حيث نجد أن القرآن الكريم يقدمهم على أساس أنهم أنبياء الله تعالى، وأن ديانتهم التوحيدية كانت أصلا للإسلام بمفهومه العام، وأن الدعوة الإسلامية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وثيقة الصلة بدعوة أبيه إبراهيم عليه السلام وأبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط، في حين تقدمهم عدد من الدراسات العربية كآباء للعرق اليهودي، وأصلا للديانة اليهودية دون الإشارة إلى أن هذه المنهجية في التأريخ تابعة للتقليد اليهودي الديني وليست تابعة لحقائق التاريخ ومعطياته.

لهذا آثرت الكتابة في هذا الموضوع لتجليته وتوضيح الإشكاليات الناتجة من خلال طرحه العلمي والتاريخي والديني، ولتنمية الوعي العلمي والمعرفي في هذه القضية المهمة لدى الكتاب العرب والباحثين والمؤرخين والمهتمين بالدراسات اليهودية

---

1 - سورة آل عمران، الآيات 65 – 67

2 - سورة البقرة، الآية 140

والدراسات الدينية المقارنة، وأهمية وضعها في مكانها العلمي الصحيح والوعي في كيفية تقديمها للقارئ العربي وطلاب العلم في الجامعات العربية.

حيث سأركز في هذا البحث على الإشكاليات "التاريخية" الناتجة عن هذه المنهجية في التأريخ للديانة اليهودية في الدراسات العربية المعاصرة والبحث في الأدلة التاريخية التي تعزز فهمنا لما قرره القرآن الكريم حول هذه القضية ومحاولة حل هذه الإشكاليات.

وسأقوم بمناقشة أهم الإشكاليات "الدينية" التي تنتج عن هذه القضية والبحث في ديانة الآباء بين التوراة والقرآن الكريم في بحث لاحق بإذن الله تعالى.

أهمية الدراسة:

أولا: تعد هذه الدراسة إضافة للدراسات العربية القليلة التي تناولت علاقة الآباء بالديانة اليهودية بصفة خاصة، سواء من الناحية التاريخية أو الناحية الدينية.

ثانيا: تعزز هذه الدراسة الوعي بالإشكاليات المترتبة عن التأريخ للديانة اليهودية بعصر الآباء في الدراسات العربية المعاصرة.

ثالثا: تصحح هذه الدراسة التصور المعرفي والعلمي والتاريخي في ذهن القارئ العربي لتاريخ الدينة اليهودية والمرحلة الأولى لتأسيسها بوصفها ديانة خاصة، وتصحح تصور علاقة الآباء بالديانة اليهودية.

رابعا: تعزز هذه الدراسة الفهم للأدلة التاريخية التي تكمن وراء تقرير القرآن الكريم عدم نسبة اليهودية للآباء.

إشكاليات الدراسة وأسئلتها

تتمثل الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة بالبحث في مدى صلة الديانة اليهودية بالآباء وعلاقتهم بها، والبحث في مدى توافق الادعاء اليهودي باعتبار الآباء أهم الشخصيات التاريخية اليهودية الذين تأسست الديانة اليهودية من خلالهم وفي عصرهم مع الأدلة التاريخية والعلمية، والأثر المعرفي المترتب على تقليد الدراسات العربية لهذا الادعاء اليهودي.

وتتفرع عن هذه الإشكالية الكبرى لهذه الدراسة عدد من الأسئلة:

أولا: ما هي الإشكاليات الناتجة عن التأريخ للديانة اليهودية بعصر الآباء في الدراسات العربية المعاصرة، وما هو تأثيرها على التصور العلمي الكلي والشامل لأصل الديانة اليهودية في ذهن القارئ العربي؟

ثانيا: هل الأدلة التاريخية تؤيد ما يذهب إليه التقليد الديني اليهودي بنسبة تأسيس الديانة اليهودية للآباء وعصرهم التاريخي؟

ثالثا: هل وصف الآباء بالعبرانيين يدل على يهوديتهم؟

رابعا: هل من صلة تربط الديانة اليهودية بالآباء وعصرهم؟ وهل علاقة الآباء بالديانة اليهودية وباليهود علاقة عرقية ودينية تأسيسية؟ أم هي علاقة يهودية مبتدعة ابتدعها اليهود لتحقيق مقاصد تخدم المسألة اليهودية وتصورات اليهود من خلالها؟

أهداف الدراسة

أولا: التعريف بمصطلح "الآباء" في التقليد الديني اليهودي من ناحية تاريخية.

ثانيا: توضيح الإشكاليات التاريخية المترتبة عن التأريخ للديانة اليهودية بعصر الآباء في الدراسات العربية المعاصرة وتأثيرها على ذهن القارئ العربي وتصوره لأصول الديانة اليهودية.

ثالثا: بيان مدى علاقة الفترة التاريخية التي عاشها الآباء بأصول الديانة اليهودية.

رابعا: النظر في مدى إمكانية نسبة الديانة اليهودية للآباء من خلال الأدلة التاريخية والدليل التوراتي.

خامسا: استنتاج أهداف منهجية الإسقاط التاريخي في الفكر اليهودي على حياة الآباء.

الدراسات السابقة

أولا: كتاب للدكتور محمد خليفه حسن بعنوان: "علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية ".[1]

---

1 – من منشورات دار الثقافة – القاهرة – طبعة سنة 1988 م.

قام فيه بتحليل مصادر التوراة " المصدر الإيلوهيمي واليهوي والكهنوتي والتثنوي" وخصائص كل منها، والبحث في أي هذه المصادر أقرب إلى الإسلام، وأكثر توافقا مع مبادئه العقدية، وخلص إلى أن المصدر الإيلوهيمي هو أقربها إلى الإسلام وأكثرها علاقة به، واستدل على ذلك بخصائص هذا المصدر واعترافه بنبوة الآباء ودورهم الإصلاحي، وتركيزه على الجانب الأخلاقي في حياتهم، واستخدامه كلمة " إيلوهيم" دلالة على إله الآباء بدلا من "يهوه".[1]

وتتفق دراسة الدكتور خليفه مع موضوع هذا البحث بتركيزه على حياة الآباء وتحليل النصوص التي تحدثت عن حياتهم، ويتميز موضوع هذا البحث عن دراسة الدكتور خليفه بأنه يركز على جانب الدليل التاريخي والتوراتي نفسه في النظر إلى مصداقية ادعاء اليهودي بيهودية الآباء من عدمها، وهو الأمر الذي لم يتطرق له الدكتور خليفه في كتابه وإنما بحث في صور العلاقة بين ما ورد عن حياة الآباء في نصوص التوراة والمبادئ الإسلامية فحسب.

ثانيا: بحث للدكتور أحمد محمود هويدي بعنوان: " تاريخ الآباء وديانتهم، رؤية نقدية في ضوء مصادر التوراة".[2]

وهي دراسة نصية للتوراة اعتمدت النقد المصدري لمصادر التوراة من خلال دراسة النصوص التي تحدثت عن الآباء في التوراة والمقارنة فيما بينها، وتحليها تحليلا نصيا نقديا، بهدف البحث عن أقرب مصادر التوراة الحالية الى المصدر الإلهي للتوراة قبل تحريفها وتبديلها، وذلك من خلال تاريخ الآباء وديانتهم في التوراة تحديدا.[3]

وتتفق هذه الدراسة مع هذا البحث باهتمامها بتاريخ الآباء، ولكنها قصرت النظر لتاريخهم من خلال نصوص التوراة، أي أنها اعتمدت على منهجية النقد الداخلي للتوراة، بينما يميل هذا البحث إلى النقد الخارجي للتوراة، فلم يكن تركيزي فيه على النصوص التي وردت عن الآباء في التوراة بقدر اهتمامي بالأدلة التاريخية التي

---

1 - أنظر: ص 55 – 58 من الكتاب

2 - من منشورات مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – المجلد رقم 60 العدد الأول، يناير 2000 م.

3 - أنظر: ص 177 من مجلة كلية الآداب رقم 60 عدد يناير 2000 م.

تناولت عصرهم وكل ما يتضمنه من جوانب تاريخية ولغوية وخصائص حضارية، مقارنة بتاريخ كتابة التوراة وتأسيس الديانة اليهودية كديانة مستقلة.

ويتميز هذا البحث عن دراسة الدكتور هويدي أيضا بأنه يلقي الضوء على الإشكاليات الناتجة عن الدراسات العربية التي نسبت اليهودية لعصر الآباء، ويتميز أيضا بتركيزه على البحث في مدى مصداقية نسبة اليهودية للآباء وعصرهم التاريخي وهو أمر لم يتناوله الدكتور هويدي في بحثه.

ثالثا: مقال للكاتب باسم محمد حبيب بعنوان " الديانة اليهودية – نشأتها وتطورها ".[1]

وهو مقال يلقي الضوء على العصر الذي نشأت فيه الديانة اليهودية ويطرح عددا من التساؤلات والاحتمالات حول نشأتها وتطورها، وناقش إشكالية علاقة الآباء بنشأت الديانة اليهودية، واستدل على عدم وجود صلة بينهم وبين اليهودية بالاعتماد على الدراسات التي ترد شخصيات الآباء لتراث الأمم السابقة، وتأثر كتبة التوراة بهذا التراث وأساطيره، فإبراهيم عليه السلام باعتقاده كان ملكا بابليا وقصته تعود إلى بعض كتب الهند الدينية والفارسية وعقائد الصابئة، وأن كتبة التوراة اخذوا قصته من ميثولوجيا الشعوب التي احتكوا بها، واسحاق عليه السلام كان زعيما لجماعة العابيرو التي كانت تسكن حول بئر السبع، ويذهب إلى أن سبب ضم إسحاق إلى النسب الإبراهيمي ناجم من انضمام جماعة إسحاق إلى الجماعة اليهودية الأم والذي جرى في عهد داوود فيما يرجحه الكاتب، وينفي صلة يعقوب بإسحاق وإبراهيم ويرجح أنه كان من زعماء الآراميين، وأن يوسف عليه السلام من جماعة الهكسوس التي غزت مصر وأن قصته في التوراة مأخوذة من ملحمة جلجامش.[2]

---

1 – المقال منشور في موقع معابر على شبكة الانترنت على الرابط
http://maaber.50megs.com/issue_november11/spotlights3.htm

2 – انظر: المقال في موقع معابر من خلال الرابط المرفق سابقا تحت عنوان: إبراهيم الخليل وعصر الآباء.

ولاحظت أنه يقتفي أثر جيمس فريزر في كتابه "الفلكلور في العهد القديم"، مع أنه لم يشر إليه في قائمة مصادر مقاله، وتضمن مقاله عددا من الإشكاليات التاريخية التي تعارض التاريخ من ناحية وتعارض القرآن الكريم من ناحية أخرى، وبالذات نفيه صلة الآباء ببعضهم من ناحية النسب، ووجدت أنه لا يتفق مع بحثي إلا في قضية واحدة وهي: إشكالية البحث، التي تتضمن البحث عن نسبة اليهودية للآباء، إلا أنه سار لنفي هذه النسبة في منهجية تحتاج الى مراجعة علمية، ولا تكفي بالاستدلال على هذه القضية.

المناهج المتبعة في هذه الدراسة

أولا: المنهج التاريخي: وذلك من خلال دراسة تاريخ الآباء والعصر الذي عاشوه من الناحية التاريخية والنظر في مدى توفر الأدلة التاريخية التي تدعم ادعاء اليهود بنسبة تأسيس الديانة اليهودية لعصرهم.

ثانيا: المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك من خلال تحليل جميع الأدلة التاريخية واستنباط مدى تأكيدها على علاقة الآباء بالديانة اليهودية من عدمها.

ثالثا: المنهج النقدي: وذلك من خلال نقد الادعاء اليهودي بنسبة تأسيس الديانة اليهودية في عصر الآباء من خلال الأدلة التاريخية، ونقد الدراسات العربية التي أرخت للديانة اليهودية بعصر الآباء وإظهار الإشكاليات المترتبة على هذه المنهجية في التأريخ للديانة اليهودية وتأثيراتها على القارئ العربي. ولأجل توظيف هذه المناهج في حل إشكالية هذه الدراسة والإجابة عن أسئلتها وتحقيق أهدافها المرجوة قمت بتقسيمها إلى أربعة مباحث وخاتمة وهي:

خطة البحث:

المبحث الأول: التأريخ لليهودية بعصر الآباء في الدراسات العربية المعاصرة وإشكالياته التاريخية

المطلب الأول: التعريف بمصطلح " الآباء" تاريخياً

المطلب الثاني: نسبة الديانة اليهودية لعصر "الآباء" في نماذج من الدراسات العربية المعاصرة والإشكاليات التاريخية المترتبة عليها

المبحث الثاني: عصر الآباء في التاريخ وعلاقته بتأسيس الديانة اليهودية

المطلب الأول: الأصل التاريخي للآباء وعلاقته بنشأة الديانة اليهودية

المطلب الثاني: وصف الآباء بالعبرانيين وعلاقته باليهودية تاريخياً

المطلب الثالث: اللغة التي تحدثها الآباء وعلاقتها بالديانة اليهودية

المطلب الرابع: إثبات التوراة عدم اختصاص اليهود وحدهم بالنسب إلى إبراهيم عليه السلام

المبحث الثالث: البعد التاريخي بين عصر الآباء وتأسيس اليهودية ديانة خاصة

المبحث الرابع: منهجية الإسقاط التاريخي في حياة الآباء في الفكر اليهودي وأهدافها

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول:

التأريخ لليهودية بعصر "الآباء" في الدراسات العربية المعاصرة وإشكالياته التاريخية

المطلب الأول: التعريف بمصطلح "الآباء" تاريخياً [1]

مصطلح "الآباء" هو مصطلح تاريخي يستخدمه الكتاب والمؤرخون اليهود للدلالة على المرحلة الأولى من مراحل التاريخ الإسرائيلي واليهودي،[2] ومرحلة الآباء في التاريخ اليهودي هي المرحلة التي تضم مجموعة الشخصيات التي سبقت موسى عليه السلام في التراث القديم ومن أشهرهم على الإطلاق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وأبناء يعقوب الذين تكون من نسلهم أسباط بني إسرائيل، ويتجه بعض المؤرخين اليهود إلى ضم آدم ونوح عليهما السلام إلى مجموعة أو عصر الآباء وذلك لتبرير

---

1 – أقصد بكلمة " تاريخيا " أي أن التعريف بهم سيقتصر على الجانب التاريخي وليس الجانب الديني فلن أعرف بهم من ناحية قيمتهم الدينية في التقليد اليهودي.

2 – انظر: المسيري، عبد الوهاب– موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية– دار الشروق، القاهرة – ط 1، 1999–ج 4– ص 130.

- See: Arthur Hertzberg-great religions of modern man – Judaism –p 27-33.

الروايات التوراتية الخاصة بهما في سفر التكوين بالإضافة إلى التأكيد على عودة سلسلة الأنساب الخاصة ببني إسرائيل إلى بداية الخليقة، وينهي بعض المؤرخين سلسلة الآباء بموسى عليه السلام بينما يعتبر معظم المؤرخين موسى بداية لمرحلة تاريخية ودينية جديدة في التراث الإسرائيلي. [1]

فهذا المصطلح يعبر عن أجداد شعب إسرائيل الأولون وهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ويشمل أحيانا بني إسرائيل– حسب الفكر الديني والتاريخي اليهودي–. [2]

ويقسم التقليد اليهودي مصطلح الآباء إلى فترات تاريخية ثلاث: الفترة الأولى: تتضمن العهد السابق للطوفان وتبدأ بآدم وتنتهي بنوح وابنه سام عليهم السلام، والفترة الثانية: تتضمن إبراهيم وابنه إسحاق ويعقوب عليهم السلام، وأحيانا يعتبر التقليد التوراتي أن أبناء يعقوب الاثني عشر الذين تم من خلال نسلهم تأسيس قبائل بني إسرائيل جزء من مرحلة الآباء الثانية، والفترة الثالثة: هي التي تتضمن العهد مع موسى وهارون عليهما السلام. [3]

ويعتبر الفكر الديني اليهودي هؤلاء الآباء هم صفوة الخلق من ولد آدم عليه السلام، وهم الذين أنتجوا الشعب الإسرائيلي الذي أصبح صفوة الخلق من ولد إبراهيم عليه السلام، وكأن سلسلة الآباء التي تبدأ بإبراهيم ثم إسحاق من بعده ثم يعقوب

---

1 – حسن، محمد خليفه – تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة – دار الثقافة العربية، القاهرة – ط 2002 – ص 181.

– وانظر– هليفي، يهودا بن شموئيل – الحجة والدليل في نصر الدين الذليل – ترجمته من اللغة العبرية – ليلى إبراهيم أبو المجد – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط 1، 2014 – العدد 2155 – ص 151

2 – قنصوه، صلاح – وآخرون – قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم –دار الكلمة، القاهرة – ط 1 2004– ص 9.

3 – أنظر: لونوار، فريدريك – المصنف الوجيز في تاريخ الأديان – ترجمة محمد الحداد – المركز الوطني للترجمة، تونس – دار سيناترا، تونس – سلسلة فكر الزمان– ط 2012 – ص 217.

عليهم السلام يشكلون النقطة الوسطى والمحورية بين مرحلة آدم ونوح وسام وعابر عليهم السلام وبين شعب إسرائيل المنحدر من نسل يعقوب.

وهذا ما أشار اليه يهودا هليفي حين تحدث عن الآباء ووصفهم بأنهم صفوة ولد آدم عليه السلام وأن الأمر الإلهي كان خاصا بهم دون غيرهم من الناس، وأنهم أشبه الخلق بآدم عليه السلام، ولهذا أطلق عليهم أبناء الله لشبههم بآدم في كمال الخلق والأخلاق وطول الأعمار والعلوم والقدرة واتصالهم بالأمر الإلهي، واتصالهم بوراثة أرض النبوة ونكتة الأرض ومركزها وهي أرض الشام ومنها أرض كنعان، ومن خلال نسل الآباء ابتدأ حلول الأمر الإلهي في جماعة بعد أن كان لا يوجد إلا في أفراد.[1]

وإن كانت بعض الكتابات اليهودية تشير إلى نبوة الشخصيات المكونة لفترة الآباء[2] إلا أن التقليد اليهودي العام يشير إلى مرحلة الآباء على اعتبار الرابطة العرقية والنسبية التي تربط بين هؤلاء الآباء وبين الشعب الإسرائيلي، فينظر للآباء على أساس أنهم المكونين للشعب الإسرائيلي من الناحية العرقية التاريخية من جهة، وأنهم المكونون لأصول الديانة اليهودية من ناحية دينية من جهة أخرى.

المطلب الثاني: نسبة الديانة اليهودية لعصر "الآباء" في نماذج من الدراسات العربية المعاصرة والإشكاليات التاريخية المترتبة عليها

المسألة الأولى: نسبة الديانة اليهودية لعصر "الآباء" في نماذج من الدراسات العربية المعاصرة

لقد دأبت كثير من الدراسات العربية للديانة اليهودية وتاريخها على نسبة نشأتها الأولى لفترة الآباء الأوائل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ولم تفرق بين أصل

---

1 – انظر – هليفي، يهودا بن شموئيل – الحجة والدليل في نصر الدين الذليل – ص 151.

2 – حيث اعتبر موسى بن ميمون المرتبتين التاسعة والعاشرة من مراتب النبوة تنطبقان على نبوة ابراهيم عليه السلام حيث تدل المرتبة التاسعة على سماع النبي كلاما في الرؤيا، وتدل المرتبة العاشرة على رؤية النبي شخصا يكلمه في مرأى النبوة، وأقر بأن كليهما ينطبقان على إبراهيم عليه السلام. انظر: بن ميمون، موسى – دلالة الحائرين – ترجمه من العبرية الدكتور حسين اتاى – مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – ط 2002 م – ج 2 – ص 441

دعوة ابراهيم عليه السلام وديانة بني إسرائيل، وبين التاريخ اليهودي وتاريخ الديانة اليهودية وتاريخ تأسيسها، مما يرتب على هذه النسبة عدد من الإشكاليات التاريخية في تصور القارئ العربي طلاب العلم عند دراستهم للديانة اليهودية.

وإن بعضا من الدراسات العربية المعاصرة انتبه أصحابها لهذه القضية،[1] وبالذات الدراسات التي اتبعت المنهج النقدي للديانة اليهودية وتاريخها، ولكننا نجد أن أغلب الدراسات الوصفية للديانة اليهودية بدأت التأريخ لليهودية بعصر الآباء عليهم السلام، فهنا لا أقصد جميع الدراسات العربية وإنما أقصد الدراسات التي أرخت للديانة اليهودية بعصر الآباء من مجمل الدراسات العربية. [2]

فنجد الدكتور **محمد خليفه حسن** عندما أرخ لليهودية من الناحية الدينية في كتابه "تاريخ الديانة اليهودية" بدأ بمرحلة ديانة الآباء، وذكر أن ديانة هؤلاء الآباء كانت ديانة توحيدية بسيطة، شقت طريقها وسط نظام تعددت فيه الآلهة التي يعتقد أن العبريين القدامى قد عبدوها، إلى أن تم تركيز الآباء على عبادة يهوه الذي لم يعرف بهذا الاسم الذي أصبح علما عليه الا في عصر موسى عليه السلام. [3]

وكذلك دراسة الدكتور **صابر طعيمه** في كتابه "التاريخ اليهودي العام" عندما بدأ التأريخ للديانة اليهودية بعصر الآباء فقال: " تتعدد الدراسات وتختلف من منهج لآخر حول محاولات التتبع التاريخي القديم وخاصة حول مصادر البيئة التاريخية لحركة التواجد اليهودي في التاريخ ومقومات النشأة الأولى للتاريخ اليهودي على وجه

---

1 – ومن أهم أمثلة هذه الدراسات كتاب "العرب واليهود في التاريخ" للدكتور أحمد سوسه، وكتاب "آرام دمشق وإسرائيل" للكاتب فراس السواح، وكتاب "سفر التاريخ اليهودي" للكاتب رجا عبد الحميد عرابي، وكتاب "بحثا عن النبي إبراهيم" للكاتب أحمد الدبش، وغيرها من الدراسات التي سأشير اليها في بناء هذا البحث وسأعتمد على بعضها في متنه.

2 – سأقتصر على ذكر بعض النماذج من هذه الدراسات العربية لأن قضية إحصائها وتعدادها ليست هي الهدف من الدراسة وذلك لكثرتها، وإن إيراد كثير منها سيؤدي إلى الاستطراد والابتعاد عن هدف الدراسة واشكاليتها الكبرى وهي: مدى حقيقة نسبة الديانة اليهودية لفترة الآباء الأوائل.

3 – حسن، محمد خليفه – تاريخ الديانة اليهودية –دار رؤية للنشر، القاهرة – ط 1، 2016 – ص 260 – 263.

الخصوص، لكن الأمل في تصور تقريبي للتفاوت الحاد عند بعض المناهج التاريخية في تتبعها وتقصيها لمراحل النشأة التاريخية الأولى للآباء الأول للوجود اليهودي، ولقد كانت البداية الأول والمبكرة في العراق"[1]

ويقصد هنا وجود إبراهيم عليه السلام في أرض العراق وهجرته إلى أرض كنعان، وأن البداية الأولى لتأسيس الديانة اليهودية كانت في أرض العراق في زمن إبراهيم عليه السلام.

وكذلك دراسة الكاتب **عبد الله حسين** في كتابه " المسألة اليهودية " حيث أرخ للمسألة اليهودية بدأً بفترة الآباء الأوائل وبالذات إبراهيم عليه السلام في عدد من المواضع من كتابه. [2]

ودراسة **الدكتور كامل سعفان** في كتابه " اليهود تاريخ وعقيدة " حيث بدأ بالتأريح لليهود والديانة اليهودية بإبراهيم عليه السلام وهجرته من أرض أور الكلدانية في العراق إلى أرض فلسطين ومصر وبفترة الآباء الأوائل من بعده تحت عنوان وضعه لهذا التاريخ وهو " اليهود في التاريخ القديم " دون أن يناقش قضية حقيقة نسبة اليهودية لهم من عدمها، أو الإشارة إلى ارتباط هذا التأريخ بالتقليد اليهودي.[3]

ودراسة الدكتور **أحمد شلبي** في كتابه "مقارنة الأديان" في الجزء الأول من كتابه "اليهودية" حيث بدأ بالتأريخ للديانة اليهودية بإبراهيم عليه السلام والآباء الأوائل والعبرانيين دون أن يبين أصل ديانة الآباء، وجعلهم مقدمة وأصلا للتاريخ اليهودي كاملا.[4]

---

1 – طعيمه، صابر – التاريخ اليهودي العام – دار الجيل، بيروت – ط 3، 1991 – ج 1 – ص 5.

2 – أنظر: حسين، عبد الله – المسألة اليهودية – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – ط 2012 – ص 12، ص 27.

3 – أنظر: سعفان، كامل – اليهود، تاريخ وعقيدة – دار الاعتصام، القاهرة – ط 1988 – ص 8 – 16.

4 – أنظر: شلبي، أحمد– مقارنة الأديان–اليهودية – مكتبة نهضة مصر، القاهرة– ط 8، 1988 – ج 1 – ص 45 – 57.

ودراسة الدكتور **علي عبد الواحد وافي** في كتابه "اليهودية واليهود، بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي" حيث بدأ التأريخ للديانة اليهودية من خلال تاريخ بني إسرائيل بدأً بيعقوب عليه السلام وأولاده وهجرتهم الى مصر مما يوحي لقارئ الكتاب أن تاريخ بني إسرائيل هو تاريخ اليهود وأن اليهودية بدأت مع يعقوب عليه السلام، ولم يفرق بين التاريخ الإسرائيلي والتاريخ اليهودي.[1]

ويعرف الدكتور **طارق السعدي** الديانة اليهودية في كتابه "مقارنة الأديان" بقوله: " إن أول دين جرد الإله عن الأوثان وظواهر الطبيعة كان الدين اليهودي الذي ينتمي إلى دين إبراهيم عليه السلام فاليهودية التي أوحيت إلى أنبياء بني إسرائيل هي ديانة توحيدية غير أن اليهود أنفسهم لم يكونوا في كل عصر من عصورهم موحدين ولم يأخذوا بالتوحيد دوما وهذا مثار الالتباس في العقيدة التي يعتنقونها... "[2]

وهنا يؤكد الدكتور طارق السعدي أن اليهودية ديانة تنتمي لإبراهيم عليه السلام وأنها أوحيت إلى أنبياء بني إسرائيل وهذا أمر غير علمي بتاتا، ويتناقض مع الحقائق التاريخية التي سأتحدث عنها في الصفحات القادمة من هذا البحث.

ومن هذه الدراسات كتاب الدكتور **محمد أحمد الخطيب** "مقارنة الأديان" حيث نفى نسبة الديانة اليهودية لإبراهيم عليه السلام إلا أنه بدأ التاريخ لها بعصر يعقوب عليه السلام وهجرته وبنيه الى مصر، ووصل هذه المرحلة التاريخية بمرحلة موسى عليه السلام وخروجه ببني إسرائيل منها، ووضع هذه الرحلة التاريخية الخاصة ببني إسرائيل تحت عنوان " نظرة مجملة في تاريخ اليهود " فجعل تاريخ بني إسرائيل هو نفسه تاريخ اليهود، مما يوحي للقارئ بأن الديانة اليهودية نشأت مع يعقوب وابنائه عليهم السلام

---

1 – أنظر: وافي، علي عبد الواحد – اليهودية واليهود – دار نهضة مصر، القاهرة – ط 2، 1981 – ص 111 – 119.

2 – السعدي، طارق خليل – مقارنة الأديان – درا العلوم العربية، بيروت – – ط 1، 2005 – ص 29.

وهذا امر يتناقض مع الأدلة التاريخية التي تثبت ان الديانة اليهودية نشأت بعد عصرهم بفترة زمنية طويلة.[1]

المسألة الثانية: الإشكاليات الناتجة عن نسبة الديانة اليهودية لعصر "الآباء" في بعض الدراسات العربية المعاصرة

ينتج عن نسبة الديانة اليهودية للآباء "الأنبياء" عليهم السلام إبراهيم وإسحاق ويعقوب والتأريخ للديانة اليهودية بدأً بعصرهم في عدد من الدراسات العربية المعاصرة إشكاليات تاريخية تؤدي في نتيجتها النهائية إلى اختلاط المفاهيم العلمية لدى القارئ العربي وطالب العلم حول حقيقة نشأة الديانة اليهودية والبداية الأولى لتأسيسها ديانة مستقلة عن فترة الآباء الأوائل.

اولاً: اعتبار اليهود الأوائل جنسا عرقيا خاصا ومتميزا عن الأمم والشعوب التي عاشوا بينها بسبب تعلق الديانة اليهودية بهم، واستحداثهم لها في فكرهم الديني بسبب عدم استحضار الأصل العرقي التاريخي للآباء عليهم السلام المتمثل بالأصل العربي ثم الآرامي وعلاقتهم بالأمم والشعوب التي عاشوا بينها في فترة حياتهم التاريخية.

ثانياً: الخلط بين كون اليهود الأوائل ينتسبون عرقيا لنسل الآباء عليهم السلام من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام، وبين اعتبار نسبة الديانة اليهودية لهذا الأصل من ناحية دينية، فحتى لو انتسب اليهود الأوائل من ناحية عرقية للآباء فانه ليس بالضرورة أن تكون اليهودية كديانة نشأت في عصر الآباء وتنسب إليهم.

---

1 – أنظر: الخطيب، محمد احمد – مقارنة الأديان – دار المسيرة، عمان – ط 1، 2008 م – ص 42، ص 45 – 49. وهذا الكتاب معتمد في التعليم الجامعي لمقرر مقارنة الأديان في عدد من كليات الشريعة والدراسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية مثل الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك وغيرها من الجامعات، الأمر الذي يثبت أن الاعتماد على مثل هذه الدراسات في التعليم الجامعي يؤدي الى تشتت الصورة الذهنية عن التاريخ الإسرائيلي والتاريخ اليهودي وبداية نشأة الديانة اليهودية في البناء المعرفي للطلبة، ويؤدي إلى التناقض بين المفاهيم القرآنية وما يقدم لهم من خلال هذه الدراسات.

ثالثاً: عدم التمييز بين وصف الآباء بالعبرانيين وبين علاقة هذا الوصف باليهودية التي نشأت كديانة مستقلة بعد عصرهم التاريخي بفترة تاريخية طويلة.

رابعاً: عدم استحضار النصوص التوراتية التي تناقض التقليد اليهودي نفسه في نسبة الديانة اليهودية لعصر الآباء تاريخيا، وعدم استحضار النصوص القرآنية التي تثبت عدم نسبة اليهودية للآباء، والتأسيس العلمي لهذه المسألة انطلاقا من هذه النصوص.

خامساً: عدم استحضار البعد التاريخي بين عصر الآباء وتأسيس اليهودية ديانة مستقلة متعلقة بأبناء قبيلة يهوذا بن يعقوب عليه السلام التي تم تأسيسها وإنتاج تراثها الديني في مرحلة السبي البابلي بعد عصر الآباء بما يزيد عن الألف عام.

سادساً: عدم إدراك منهجية الإسقاط التاريخي التي مارسها اليهود على عصر الآباء وشخصياتهم التاريخية أثناء عملية التوثيق الديني والتاريخي لحياتهم في كتاباتهم المقدسة التي نتجت بعد عصر الآباء بفترة تاريخية طويلة واهداف هذه المنهجية.

سابعاً: دعم الادعاء اليهودي بنسبة الديانة اليهودية للآباء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وإن كانت غير مقصودة في ذاتها، نتيجةً للتراكم المعرفي في استخدام هذه المنهجية في التأريخ للديانة اليهودية في الدراسات العربية المعاصرة بشكل واسع، فعندما يتخذ الكتاب العرب نفس الطريقة اليهودية في التأريخ للديانة اليهودية فإنهم يدعمون هذا الاتجاه في ذهن القارئ العربي وبالذات عندما لا يتم نقد هذه الطريقة أو الإشارة إلى خصوصيتها بالتقليد اليهودي.

ثامناً: الإسهام في تشتت الصورة الذهنية للقارئ العربي في تصور الأصول التاريخية للديانة اليهودية وعدم تصورها بشكلها الكامل نتيجة لعدم وضع القارئ العربي في صورة التاريخ الدقيق لنشأت الديانة اليهودية ونتيجة لعدم التفريق بين التاريخ الإسرائيلي والتاريخ اليهودي والاختلافات في الأصول الدينية وتطوراتها بين هذين التاريخين.

تاسعاً: التناقض الذهني والعلمي بين ما أسسه القرآن الكريم لتاريخ هؤلاء الأنبياء عليهم السلام وعلاقتهم باليهودية وبين ما تؤسسه هذه الدراسات في هذه العلاقة.

عاشراً: وهذه الإشكاليات في مجموعها تؤدي في النهاية إلى إضعاف قدرة القارئ العربي في الرد على قضية تعلق الديانة اليهودية بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام، والفهم الجيد لحقيقة علاقتهم باليهودية من ناحية تاريخية، وما ينتج عن هذه العلاقة في مسألة أحقيتهم بأرض فلسطين واعتبارهم شعبا مختاراً، وحقهم في السيادة على الأرض وغيرها من المعتقدات المرتبطة بشكل وثيق بنسبة اليهودية لعصر الآباء وشخصياتهم.

المبحث الثاني: عصر "الآباء" في التاريخ وعلاقته بتأسيس الديانة اليهودية

المطلب الأول: الأصل التاريخي للآباء وعلاقته بنشأة الديانة اليهودية

إن اعتقاد اليهود بنسبة الديانة اليهودية للآباء واعتبارهم اليهود الأوائل الذين من خلالهم تكونت الديانة اليهودية في مرحلتها الأولى يعود لثلاثة أسباب رئيسة وهي:

السبب الأول: دمج اليهود بين الجانبين العرقي والديني في علاقتهم بالآباء وعلاقة أصولهم الدينية اليهودية، على أساس أنهما يشكلان ظاهرة دينية واحدة يتصل بها الجانب الديني بالجانب العرقي في وحدة دينية لا تنفصل، وذلك من خلال إثبات الخصوصية العرقية للآباء التي تميزهم عن أمم وشعوب ومنطقة الشرق الأدنى القديم، فتم الاستدلال بانتساب اليهود الأوائل للآباء عرقياً بنسبة اليهودية للآباء دينياً.

السبب الثاني: تفسير اليهود نبوة الآباء وعلاقتهم بالله سبحانه وتعالى وجميع متعلقات هذه العلاقة بصورة خاصة بهم وحدهم، فبسبب نبوتهم نسبوا لهم عهودا ووعودا الهية تضمنت العهد الإلهي لهم بأن يكون إلها خاصا لهم، ويكونون شعبا خاصا له، ويكونون شعبا مختارا من قبله دون شعوب الأرض وأممها جميعا، وعهد الختان، والوعد بميراث أرض كنعان وتمليكها لنسلهم ملكا أبديا وخاصا بهم، ووعدهم بالسيادة على الأمم جميعا والانتصار على جميع أعدائهم، فتم بناء وتفسير هذه العهود من خلال التصور اليهودي واعتبارها الأساس الأول للديانة اليهودية والتي تشكلت جميع عقائدهم وتصوراتهم للكون والحياة والإنسان من خلالها وانطلاقا منها.

السبب الثالث: منهجية كتبة التوراة في التأريخ لحياة الآباء في تراثهم الديني وخصوصا التوراة، التي استخلصوا منها نسب الآباء ابراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، بصورة تاريخية غلفوها بغطاء ديني يتمثل بمنح هذا النسل البركة الإلهية

بصورة خاصة واستثنائية عبر عنها سفر التكوين السفر الأول من أسفار التوراة، ثم عبرت عنه الأسفار التابعة له من أسفار التناخ[1] جميعها، ابتداء من سفر الخروج إلى آخر الأسفار والتي أرادت أن تثبت أن المجتمع الديني الخاص لليهود بكل مقوماته متصل بشكل وثيق بما أسسه سفر التكوين عن حياة الآباء ويمثل مجتمعا مباركا ومختارا من قبل الإله، بسبب تأسيس الديانة اليهودية من خلالهم ومن خلال عصرهم الذي عاشوه. [2]

ولهذا نسبوا كل المحتوى الديني والعقدي الذي انتجته الأجيال اليهودية المتلاحقة وطورته على مدى عصور طويلة ومتلاحقة الى بداية هذا النسب المرتبط بالآباء.

إن البحث التاريخي لحياة الآباء والعصر الذي عاشوه يبين أنه لا توجد أية دراسة تاريخية تشير من قريب أو بعيد إلى تميز الآباء عرقيا عن أصول الأمم التي عاشوا بينها، أو أنهم كانوا يشكلون ظاهرة عرقية أو جنسية إنسانية خاصة تفصلهم عن محيطهم الذي عاشوه حتى تتشكل منهم ومن نسلهم ديانة خاصة لا تكون إلا لنسلهم ولا يجوز لأحد اتباعها من غيرهم.

فإذا عدنا الى بعض الدراسات التاريخية التي تتحدث عن الأصل التاريخي للآباء سنجد ما يلي:

يذكر الطبري أن المقام الأول لسام بن نوح عليه السلام الذي ينتسب اليه الآباء عليهم السلام كان في أرض مكة في شبه جزيرة العرب فيقول: "فولد لسام عابر وعليم وأشوذ وأرفخشد ولاوذ وإرم وكان مقامه بمكة"، [3]

---

1 – التناخ: كلمة عبرية الأصل وهي اختصار لمكونات التوراة ومجموع الأسفار القانونية الملحقة بها وهي: توراه، نافائيم، كتوفبيم.

2 – أنظر: سفر التكوين (5: 1)، (9: 1)، (9: 18 – 28)، (12: 1)، (25: 1 – 11)، (28: 1 – 22)، (49: 1 – 33).

3 – الطبري – تاريخ الأمم والملوك – دار الكتب العلمية، بيروت – ط 1، 1407 هـ – ج 1 – ص 126.

حيث إن شبه الجزيرة العربية كانت مهد الساميين الأوائل، وبعد موجات الجفاف المتتالية التي أصابت هذه المنطقة هاجر عدد من قبائلها نحو الشمال بما فيهم أسرة إبراهيم عليه السلام القديمة بحثا عن روافد مائية ونباتية تكفيهم مؤنة حياتهم الرعوية، وحملوا معهم كل ما يتعلق بإرثهم الثقافي والديني العربي نحو منطقة الهلال الخصيب[1]

فالعصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام هو عصر عربي قائم بذاته وله مقوماته القومية واللغوية والدينية وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبقبائلها وبلغتها الأم، ومع أن إبراهيم عليه السلام استقر في جنوب أرض العراق إلا أنه كان على اتصال دائم مع القبائل العربية التي يرتبط بها بصلة القربى والوطن الواحد واللغة الواحدة وكانت له اتصالات تجارية مع القبائل التي تسكن البادية المتصلة بالفرات وبوادي الشام والحجاز. [2]

يقول الدكتور أحمد سوسه بعد حديثه عن الأصول القديمة لإبراهم عليه السلام: "وخلاصة القول إن ما تقدم يدل دلالة واضحة على أن إبراهيم عليه السلام كان شخصية عظيمة وزعيما سياسيا وروحيا قام بأكبر دور في تاريخ الإنسانية، وهو عربي قح متصل بالقبائل العربية في جزيرة العرب وليست له أية صلة بعهد موسى واليهود، الذي يقع بعد عهده بحوالي سبعمائة عام. [3]

وانظر: داوود، أحمد- العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود- دار المستقبل، دمشق- ط 1، 1991- ص 63. وانظر: المسعودي – أخبار الزمان – دار الاندلس، بيروت ط 2 ب.ت – ج 1 – ص 109.

1 – أنظر- سوسه، أحمد- العرب واليهود في التاريخ – دار العربي، دمشق- ط 2 ب.ت –ص 111 – 113.وانظر- ظاظا، حسن – الساميون ولغاتهم – دار القلم، دمشق – ط 2، 1990- ص 87 – 93.

2 – الزغبي، تركي – اليهود وارض كنعان – دار رسلان، دمشق – ط 2012 – ص 61.

وانظر: الباش، حسن – القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان- دار قتيبة، دمشق- ط 2، 2013 –ج 1 – ص 126.

3 – سوسه، أحمد – العرب واليهود في التاريخ – ص 262.

وهذا الأمر يدل على أن الأصل الأول للآباء ينتمي إلى العرب الذين عاشوا في شبه الجزيرة العربية وأن ابراهيم عليه السلام وبينه كانوا عربا، وإن بني إسرائيل ينتسبون إلى هذا العرق العربي، وليس لهم أية خصوصية عن هذا النسل العربي، وأن اليهود عملوا على نفي الأصل العربي للآباء من خلال التأسيس لوجهة نظر معادية للعرب ومحاولة فصلهم عن نسل بني إسرائيل وتقسيم نسل ابراهيم عليه السلام الى قسمين إسرائيلي ينحدر من نسل إسحاق ويعقوب والأسباط، وعربي ينحدر من نسل إسماعيل ونسل عيسو الأخ التوأم ليعقوب عليه السلام والعمل على التمييز بين العرقين، وإلصاق الديانة اليهودية بفرع الإسرائيليين، مع أن المنطق التاريخي يؤكد أنه طالما ثبت الأصل العربي لإبراهيم عليه السلام فإن جميع أبنائه ينتسبون لهذا الأصل العربي بما فيهم بني إسرائيل، وإن هذه المحاولة في الفصل بين الفرعين هي محاولة دينية مجردة لا تؤيدها الدراسات التاريخية.

ولهذا لم يذكر كتبة التوراة في سفر التكوين السفر الذي أرخوا فيه لحياة الآباء أي نص يدل من قريب أو بعيد على هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض مكة في شبه جزيرة العرب أو الحديث عن أي علاقة ربطت إبراهيم عليه السلام بالعرب وثقافتهم أو لغتهم أو محيطهم الجغرافي، وذلك لفصل الآباء عن هذا الإرث العربي، وبالتالي فصل بني إسرائيل جميعا عن هذا الإرث والعمل على تكوين أصل عرقي لليهود خاص بهم تاريخيا ودينيا ليس له علاقة بأصلهم العربي أو محيطهم الثقافي القديم ونسبة اليهودية لهم لإثبات خصوصيتها عرقياً ودينياً وتميزها عن هذا المحيط.

ويرجح ابن كثير أن إبراهيم عليه السلام ولد جنوب أرض العراق التي كانت تدعى كلدان ويذكر أنه الصحيح والمشهور عند أهل السير والتاريخ والأخبار،[1] والكلدانيون

1 – ابن كثير – البداية والنهاية– دار إحياء التراث العربي، القاهرة – ط 1 ب.ت – ج 1 – ص 161.

هم فرع من الآراميين هاجروا من شبه الجزيرة العربية إلى سوريا ومناطق جنوب وادي الرافدين وأنشأوا عددا من المدن والممالك في هذه المنطقة.[1]

فانتسب إبراهيم عليه السلام للآراميين بعد هجرة أسرته الأولى القديمة من أرض الجزيرة العربية إلى جنوب العراق وبلاد الشام، والآراميون هم فرع من العرب الساميين الذي تعود أصولهم الأولى إلى شبه الجزيرة العربية قبل أن يهاجروا إلى المناطق الشمالية من بلاد العراق والشام.

وتكون الآراميون من الشعوب الكبيرة التي كانت تنتشر في منطقة واسعة تمتد من فارس شرقا إلى البحر المتوسط غربا ومن آسيا الصغرى شمالا إلى جنوب شبه جزيرة العرب واليمن جنوبا وكانت كل شعوب هذه المنطقة تتكلم لغة واحدة تسمى اللغة الآرامية وكان لها عدد لا بأس به من اللهجات المحكية ومنها اللغة العربية والسريانية والنبطية وغيرها. [2]

وإن هجرات القبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية وشمالها نحو بلاد الرافدين وبلاد الشام ابتدأت في الألف السادس قبل الميلاد وشكلت عددا من الأقوام العربية الأصل منهم الاشوريين والعموريين والكنعانيين والآراميين والكلدان، وتنقلوا من بلاد الرافدين باتجاه الشمال والغرب ليشكلوا حواضر وحضارات أصبحت أكثر ابعادها واضحة بعد الحفريات الأثرية المتتالية وإن هذه الأقوام والحضارات العربية شكلت وحدة قومية تتفق في كثير من المقومات الحضارية. [3]

---

1 – السواح، فراس – آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي– دار علاء الدين، دمشق – ط 1، 1995 – ص 47.

2 – داوود، أحمد – العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود – ص 63.

3 – انظر: البهنسي، عفيف– الشام والحضارة دراسة تاريخية –وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية – ط 1986 –ص 11.

وكان أول ظهور لكلمة آرام اسما لمنطقة أو دولة كان في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد أي قبل العصر الذي عاش فيه ابراهيم عليه السلام بثلاثة قرون،[1] وامتدت أهم الممالك الآرامية بين بلاد الرافدين ودمشق ومن الفرات إلى نهر اليرموك إلى حلب وطرابلس وأرض كنعان.[2]

وهذه هي المنطقة ظهر فيها الآباء ابراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام –حسب التأريخ التوراتي– في أرض العراق وأرض حران وأرض كنعان، ووقعت فيها هجراتهم وتحركاتهم وهي المنطقة الجغرافية التي تحدث عنها سفر التكوين اثناء حديثه عن حياة الآباء عليهم السلام.

وهذا الأمر يدل بكل وضوح على أن أصل الآباء لم يكن منفصلا عن أصل هذه الأقوام التي عاشوا بينها وأنهم كانوا آراميي النسب عرب الأصل والمنبت، وما كانوا يشكلون عرقا خاصا مختلفا عن العرق الذي تعود إليه اقوام المنطقة التي عاشوا فيها والعصر التاريخي الذي عاشوا فيه.

وكما وصفت التوراة بني إسرائيل بالعبرانيين فإنها وصفتهم كذلك بالآراميين فقد ورد في سفر التثنية (**... ثُمَّ يُعْلِنُ صَاحِبُ التَّقْدِمَةِ قَائِلاً أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ: كَانَ أَبِي أَرَامِيّاً تَائِهاً، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، وَمَعَهُ نَفَرٌ قَلِيلٌ. وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً عَظِيمَةً ...**)، [3] وسواء كان المقصود بالأب في هذا النص إبراهيم أو يعقوب عليهما السلام فإن النتيجة واحدة والنص يدل على نسبة الآباء للآراميين.

يقول الدكتور أحمد سوسه: " إذا أردنا أن نتعرف على حياة إبراهيم الخليل عليه السلام علينا أن نرجع إلى وطنه الأصلي وطن آبائه وأجداده في جزيرة العرب ثم المناطق الآرامية في منطقة الفرات الأوسط حيث استقر أجداده عرب البادية النازحون من الجزيرة فنزل بعضهم إلى العراق ومن جملتهم أسرة إبراهيم عليه السلام، هذا مع

---

1 – انظر: موسكاتي، سبتينو – الحضارات السامية القديمة – ترجمة د. السيد يعقوب بكر – دار الكتاب العربي، دار الرقي – بيروت – ط 1986 – ص 175.

2 – أنظر – نفس المرجع – ص 15.

3 – سفر التثنية 26: 5

ملاحظة أن العصر الذي وجد فيه ابراهيم الخليل ثم العصر الذي ظهر فيه الموسويون على أساس أن كلا منهما يمثل عصرا مستقلا". [1]

وتتفق النقوش الآشورية في الصورة التي تعطيها عن الآراميين فهم كغيرهم من الشعوب السامية يظهرون في التاريخ أولا بدوا تتفق حركاتهم وانتقال البدو في مواسم معينة من أطراف الصحراء الى المناطق المستقرة وأن توسعهم كان بين أرض الرافدين وأرض كنعان. [2]

وإن من أكبر مقومات الإرث الآرامي لإبراهيم عليه السلام وأبنائه في الديانة اليهودية التشابه الكبير بين وصف التوراة لطبيعة حياتهم على أساس من البداوة وكثرة التنقل والترحال والهجرة في المنطقة الجغرافية التي سادت فيها الشعوب الآرامية.

واستخدام اليهود الأوائل للغة الآرامية فترة طويلة من الزمن حتى أن الجمع الأول للتوراة الذي حدث في فترة الأسر البابلي كان باللغة الآرامية فكتبت الأسفار المقدسة الأولى بهذه اللغة ثم ظهرت ظاهرة " الترجوم" والتي عمل من خلالها أحبار اليهود على نقل كتاباتهم الدينية من اللغة العبرية إلى اللغة الآرامية التي كان يفهمها اليهود الأوائل والتي كانت جزءا رئيسا في ثقافتهم الآرامية العامة.[3]

ولكن هذا الأمر لا يدل على نسبة الديانة اليهودية لعصر الآباء الآرامي وانما يدل على عدم انفصال العصر التاريخي الذي عاشه الآباء عن الثقافة الآرامية وطبيعة حياة شعوبها، وأن تأثر اليهود الأوائل وتأثر ديانتهم اليهودية بالثقافة الآرامية لهذه الشعوب، يدل على التأثر بحياة الآباء الآرامية ثم يدل على حالة الانشقاق التي حدثت لليهود

---

1 – أنظر – سوسه، أحمد – العرب واليهود في التاريخ – ص 250.

2 – انظر: موسكاتي، سبتينو – الحضارات السامية القديمة – ترجمة د. السيد يعقوب بكر – ص 175 – 177.

وانظر: عبده، سمير – السوريون والحضارة السريانية – دار الحصاد، دمشق –ط 1، 1998 – ص 20

3 – انظر: شحلان، أحمد، وآخرون – لغات الرسل وأصول الرسالات – منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو، الرباط – ط 1، 2002 – ص 50 – 51.

والديانة اليهودية عن الأصل الآرامي للآباء والثقافة الآرامية القديمة في مراحل تاريخية لاحقة وبصورة تدريجية، لتأخذ طريقا ومسارا دينيا وثقافيا خاصا بها، يطغى عليه الفكر الديني اليهودي ومقوماته الخاصة التي ابتدعها كهنة اليهود لإثبات خصوصيتهم وتميزهم عن هذا الأصل العرقي القديم وثقافته واختلاق أصل خاص بهم متصل بعصر الآباء ومركبا على المقومات الدينية للمجتمع اليهودي الجديد.

المطلب الثاني: وصف "الآباء" بالعبرانيين وعلاقته باليهودية تاريخياً

لقد عمل اليهود على ربط تاريخهم الديني بمرحلة الآباء أو مرحلة العبرانيين الأوائل بصورة تبين أن هذه المرحلة تشكل الجذور الأولى للديانة اليهودية.[1]

في حين نجد أن وصف العبرانيين لا يحمل أية دلالة دينية، وإنما يشير إلى حالة اجتماعية متعلقة بطبيعة الحياة التي كان يعيشها من اتصفوا بصفة العبرانية أو تسموا بالعبرانيين.

وتعددت الآراء في أصل هذا الوصف، فمنها ما يعيدها إلى الأصل العبري لكلمة "عبر" التي تعني كثرة التنقل والترحال، [2] أو أنها تعود للمصادر والوثائق المسمارية والفرعونية التي ذكرت الآبيرو، والخبيرو ، والعبيرو، دلالة على القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام ابتداءً من الألف الثاني قبل الميلاد.[3] أو أنها كانت تطلق على كل من يعبر الفرات مهاجرا نحو الغرب باتجاه الشام وكنعان.[4] وهناك رأي يرجح أن كلمة العبرانيين كانت نسبة إلى عابر أكبر أبناء سام بن نوح عليه السلام.[5]

---

1 – انظر: فايرستون، روبن، وآخرون – ذرية إبراهيم، مقدمة عن اليهودية للمسلمين–معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان– اللجنة اليهودية الأمريكية – ترجمه الى العربية عبد الغني بن إبراهيم – ب. د، ب. ط – ص 15 – 17

2 – مهران، محمد بيومي – بنو إسرائيل –ج 1 – ص 29.

3 – انظر: سوسه، أحمد – العرب واليهود في التاريخ – ص 242 – 243.

4 – انظر: داوود، أحمد – العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود– ص 82– 85.

5 – انظر: مهران، محمد بيومي– بنو إسرائيل – ج 1 –ص 30.

ولم يوافق إسرائيل ولفونسون على اعتبار نسبة العبرانيين إلى الجد الأعلى لإبراهيم عليه السلام وهو عابر، أو نسبة العبريين للعبور على اعتبار عبور نهر الفرات أو نهر الأردن، وذهب إلى أن كلمة عبري أو عبراني لا ترجع إلى شخص بعينه أو حادثة معينة وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان بل ترحل من بقعة إلى أخرى، وأن كلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي "عبر" بمعنى قطع مرحلة الطريق أو عبر السبيل وشقها، وكل هذه المعاني نجدها في هذا الفعل سواء في العربية أو العبرية وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية فكلمة عبري مثل كلمة بدوي أي ساكن الصحراء والبادية، وكان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء ليميزوهم عن أهل العمران، ولما عاشوا حياة الاستقرار بدأوا ينفرون من هذه التسمية وهذا الوصف.[1]

فأصل هذه التسمية لا يدل على أي معنىً ديني أو يحمل أية دلالة دينية، فلم تطلق كلمة العبرانيين على جماعة ذات دين معين، سواء أكانت اليهودية أو غيرها، بل تحمل دلالة اجتماعية تتعلق بتلك المجتمعات أو الجماعات التي كانت صفة حياتها الانتقال أو العبور من مكان إلى مكان، وتتصف حياتها بعدم الاستقرار في مكان معين ومحدد.

ولهذا نجد ذكرها في مصادر ووثائق الشعوب والمجتمعات التي كانت تتصف حياتها بالاستقرار سواء في الحياة المدنية أو الزراعية لوصف تلك الجماعات العابرة والمهاجرة التي كانت تتنقل للعيش معهم أو تغزوهم أحيانا، كما ورد في المصادر المسمارية والفرعونية، ولم تكن مختصة بالجماعة التي كانت تنتسب عرقيا إلى عابر بن سام بن نوح عليه السلام بدلالة دخول عدد كبير من الآراميين بهذا الوصف وهم لا

---

1 – انظر: ولفونسون، إسرائيل – تاريخ اللغات السامية – مطبعة الاعتماد، مصر – ط 1، 1929 – ص 77 – 78.

ينتسبون إلى عابر بن سام عليه السلام، "ولهذا لا نجد في المصادر التي تحدثت عن العبرانيين أي ذكر لمسمى اليهود".[1]

ولا تذكر المصادر التي تحدثت عن العبرانيين أي دين كان يربطهم بشكل موحد، وإنما تحلل وضعا اجتماعيا كان سائدا لدى تلك القبائل البدوية المهاجرة المتعددة المنابت والأصول ولكنها تشترك بهذه الصفة، ولم يتصف بها الآباء وحدهم وانما اتصفت بها عدد من القبائل التي كانت طبيعة حياتهم تتلاءم مع حياة الانتقال والارتحال.

حيث كانت طبيعة حياة الأمم القديمة تتصف إما بحياة الاستقرار والمدنية والزراعة التي عاشت من خلالها الأمم التي شكلت الحضارات والمدن القديمة كالفراعنة في مصر والبابليين في العراق وممالك الآراميين في سوريا والكنعانيين في أرض كنعان وما حولها، وإما طبيعة بدوية صحراوية قائمة على التنقل وعدم الاستقرار والعيش على هامش الحضارات المستقرة فكان أهل المجتمعات المدنية والزراعية المستقرة يصفون أصحاب الطبيعة البدوية الذين يعيشون على هامش حياتهم وحضاراتهم بالعبرانيين.

وبما أن هذه الصفة أطلقت على إبراهيم عليه السلام وبنيه من بعده فهي لا تصف وضعا دينيا لهم، وإنما تصف تحولا اجتماعيا حدث في حياتهم، حيث كان إبراهيم عليه السلام، يعيش في كلدان جنوب أرض العراق حياة الاستقرار فلما هاجر مبتعدا عن قومه باتجاه سوريا ومنها إلى حران ثم كنعان ثم إلى مصر فإن المجتمعات التي احتكت به أطلقت عليه مسمى العبراني لأن حياته اشبهت حياة العبرانيين في تصور الأمم السابقة لهم، ونظرا لعبوره وتجواله ولأنه لم يكن ينتسب حياتيا واجتماعيا لهذه المجتمعات الزراعية أو المدنية التي خاض مدنها، ولهذا لما سأل فرعون يعقوب عليه السلام عن عمره بعد هجرته إلى مصر أجابه بأن سني غربته بلغت مائة وثلاثين سنة وأنها أقل من سني غربة آبائه (**ثُمَّ أَحْضَرَ يُوسُفُ أَبَاهُ يَعْقُوبَ وَأَوْقَفَهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ، فَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ. 8وَسَأَلَ فِرْعَوْنُ يَعْقُوبَ: «كَمْ هُوَ عُمْرُكَ؟» 9فَأَجَابَ**

---

1 – سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – دار الأمل، الأردن – ط 2003 – ص 23.

يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ: «سَنَوَاتُ غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً، قَلِيلَةٌ وَشَاقَّةٌ، وَلَمْ تَبْلُغْ سِنِي غُرْبَةِ آبَائِي». 10ثُمَّ بَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ وَخَرَجَ مِنْ لَدُنِهِ).[1]

فقد وصف حياته وحياة آبائه إسحاق وابراهيم بأنها سنوات غربة، والغربة تنتج بالضرورة عن الهجرة والارتحال من مكان إلى مكان. مما يدل على أن عبرانية الآباء هي "عبرانية طارئة" وليست أصلية في حياتهم، فلم يكن إبراهيم عليه السلام من أهل الصحراء أو العبور والهجرة في بداية حياته، ولكنه لما انتقل من موطنه من أرض كلدان تحولت حياته من حياة الاستقرار إلى حياة العبور، فأطلقت هذه الصفة عليه وعلى أبنائه من بعده من ناحية اجتماعية وليس من ناحية دينية.

ولهذا وصف يوسف عليه السلام المكان الذي قدم منه أبواه وإخوانه في القرآن الكريم بصفة البدو المساوية تماما لصفة العبرانية، فقال الله تعالى: **(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)**،[2] ولم ترد كلمة البدو في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع من هذه الآية، ولا تدل هنا على أي معنى ديني وإنما تدل على أن طبيعة حياة بني إسرائيل التي كانت حياة بدوية قبل مقدمهم إلى أرض الاستقرار والمدنية أرض مصر.

وقد تكون هذه الصفة انتهت بعد عصر الآباء وعصر دخول بني إسرائيل أرض كنعان بعد وفاة موسى عليه السلام نتيجة لانتقالهم من حياة الارتحال إلى حياة الاستقرار وبالتالي لم يبق من العبرانيين شيء غير الظاهرة العربية البدوية التي استمرت قبل ابراهيم عليه السلام وبعده باستمرار العبور والهجرة، تقوم بها جماعات متعددة من أبناء القبائل العربية وعشائرها في بادية العرب دون أن يكون ثمة جامع فيما بينها غير صفة العبور، إذ هي أشتات من قبائل عربية وليست فرعا واحدا، ولم

---

1 – سفر التكوين، 47: 7

2 – سورة يوسف، الآية 100.

تكن ظاهرة منظمة أو شعوبية أو عرقية أو لغوية وإنما هي ظاهرة عفوية لا تخضع لأي شرط غير ظروف القائمين بها أفرادا وجماعات.[1]

ولولا الحدث الطارئ لإبراهيم عليه السلام بسبب هجرته من أرض العراق إلى أرض الشام فمصر فشبه الجزيرة العربية لما أطلقت عليه وعلى أبنائه، وكونها تحمل دلالة اجتماعية ولا تحمل أية دلالة دينية فتسقط بالتالي مقولة الشعب العبراني واللغة العبرانية والدولة العبرانية وخصوصا أن اللغة التي كان يتكلمها أولئك العابرين بصفة عامة هي اللغة الآرامية وليست العبرية.[2]

فالتوراة حين تصف إبراهيم الخليل بالعبراني تساير واقع الحال باعتباره من قبائل العبيرو التي كان ينتمي اليها، أي القبائل الآرامية قبل أن يكون لليهود أي وجود في التاريخ في تلك الحقبة الزمنية.[3]

وإن أصل العبرانيين إذا ما أطلق على الآباء لا يجوز تمييزه عن الآراميين الذين تعود أصولهم الأولى إلى العرب فإن بني إسرائيل يعدون من الآراميين العرب ولم يكن لهم أي تميز عن أمم المنطقة وشعوبها، وقد أخطأ عدد من الباحثين والمؤرخين حين فرقوا بين العبريين والآراميين كما فعل الأستاذ دوبنت سومر في بحثه عن الآراميين حيث اعتبر العبرانيين أمة أو شعبا يتميزون عن الآراميين.[4]

وأيضا الأستاذ سبتينو موسكاتي، حيث ميز بين العبريين والآراميين وإن كان تحدث عن العلاقات والروابط فيما بينهما لكن في اعتباره أنهما أمتان مختلفتان وإن من أهم أوجه التفريق التي أوردها أنه أكد أن احتفاظ العبريين بكيانهم كأمة إلى يومنا هذا ناتج عن تمسكهم بعقيدتهم القومية القديمة وعلاقتهم بالإله وفكرة العهد بين إله وشعب إسرائيل وأن هذه الفكرة كانت معوانا لهم للاحتفاظ بدينهم وقوميتهم وإن الأنبياء العبريين

---

1 – انظر: داوود، أحمد – العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود–ص 85.

2 – انظر: نفس المرجع –ص 85.

3 – سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – ص 25.

4 – انظر: سومر، دوبونت – الآراميون – تعريب الأب البير آبونا – ب. د – ط 1963 الموصل – ص 96 – 97.

قاموا بدور مهم في تماسك العبريين واحتفاظهم بقوميتهم تقاليدهم من خلال فلسفتهم الخاصة للتاريخ وللعلاقة مع الإله.[1]

وأظن ان موسكاتي متأثر في هذا الرأي بالتقليد اليهودي الذي يعتبر العبرانيين شعبا منفصلا عن الاراميين وشعوب المنطقة قديما وان لهم خصوصية دينية تمثلت بنشأة الديانة اليهودية في حياتهم، والأدلة التاريخية لا تدعم هذا الرأي فلا يجوز تخصيص وصف العبرانيين بالإسرائيليين ويمكن اعتبارهم جزءاً من العبرانيين في بعض فترات تاريخهم ثم خروجهم من هذا الوصف بعد تحول حياتهم الى حياة الاستقرار، وإن احتفاظهم بمقوماتهم الدينية جاء بعد فترة تاريخية طويلة من وجود ظاهرة العبرانية على هامش الحضارات القديمة.

وسار على هذه المنهجية في التفرقة بين العبريين والآراميين عدد من الكتاب والمؤرخين العرب ولم يحاولوا رد العبرانيين إلى أصلهم الآرامي ثم إلى أصلهم العربي إذا تعلق وصف العبريين بإبراهيم عليه السلام وبنيه من بعده، واعتقد أن هذه المنهجية التاريخية في التأريخ لحياة العبرانيين وفصلها عن حياة الآراميين متأثرة بمحاولات اليهود فصل العبرانيين عن الآراميين والتأريخ لهم على اعتبار أنهم يشكلون جنسا خاصا وشعبا خاصا ارتبط بالآباء عرقيا وارتبط باليهودية دينيا.[2]

وبما أن صفة العبرانية تدل على حالة اجتماعية ولا تدل على أية حالة دينية أو وضع ديني ولا تتعلق بإبراهيم عليه السلام وبنيه وحدهم، فإنه يصعب جدا أن نقول إن هناك دينا معينا تكون خلال هذه الفترة كان يجمع كل هذه القبائل الآرامية العربية المتعددة والمبعثرة في منطقة شبه الجزيرة العربية وشمالها وبلاد الشام والعراق سواء

---

1 – انظر: موسكاتي، سبتينو – الحضارات السامية القديمة – ص 137 – 138.

2 – ومن النماذج على هذه الدراسات: كتاب المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم– للدكتور محمد علي البار– درا القلم – دمشق ط 1 – 1990 م – انظر: ص 31 – 34، وكتاب بنو إسرائيل – للدكتور محمد بيومي مهران – درا المعرفة الجامعية، الإسكندرية – ط 1999 م – أنظر: ج 1 – ص 29 – 34.

اليهودية أو غيرها، إلا ما يتعلق بحديث عام عن ديانة الآراميين وأتباع بعض هذه القبائل التي انتسبت للعبرانيين بصورة متفرقة ومتعددة.

حيث كانت ديانة الآراميين التي انتسبت لها معظم هذه القبائل العبرانية قائمة على عبادة عدة آلهة من أهمهم الإله "حاداد"، وهو إله العواصف وكان يعبد في طرابلس وحلب ودمشق، ولم تكن ديانات الآراميين تختلف عن المعتقدات السائدة في تلك الأزمنة بين ثقافات الأقوام المجاورة في كنعان والعراق وآسيا الصغرى والجزيرة العربية.[1]

وبما أن الآراميين ينتسبون عرقيا إلى فئة أكبر منهم وهم الساميون، فإن روبتسن سميث في كتابه "محاضرات في ديانة الساميين" يذكر أن ديانة الساميين بشكل عام كانت قائمة على تعدد الآلهة وعلى الصفة القبلية لهذه الآلهة فكان لكل قبيلة إلهها الخاص وكانت الأسرة العشائرية لا تتكون من شيخ العشيرة وأفراد القبيلة فقط وإنما تتكون منهم ومن إلههم الخاص بهم.[2]

وأما بالنسبة لديانة الآباء إبراهيم واسحاق ويعقوب الذين أطلقت عليهم صفة العبرانية فقد كانت تتميز عن ديانة باقي الأقوام والقبائل العبرانية والتي كانت لا تشترك معها إلا بصفة العبور والهجرة، فقد كانت ديانة توحيدية وكانت على خط مواجهة مقابل التراث الصحراوي العبراني الذي يؤمن بتعدد الآلهة، ويذكر جون نوس أن ديانة كثير من الآراميين والعبرانيين المقصود بهم إبراهيم عليه السلام ونسله كانوا يسمون إلههم "ايل" .[3]

1 – سوسه، أحمد – العرب واليهود في التاريخ – ص 58.

2 – انظر: سميث، روبرتسن – محاضرات في ديانة الساميين – ترجمة د عبد الوهاب علوب– منشورات المجلس الأعلى للثقافة– المشروع القومي للترجمة – القاهرة – ط 1997 م – ص 38 – 40.

3 – انظر: السواح، فراس – موسوعة تاريخ الأديان – اليهودية – جون نوس – ترجمة عبد الرزاق العلي – دار علاء الدين، دمشق – ط 2، 2010 – الكتاب الخامس ص 95 – 96.

بينما يؤمن اليهود بأن إلههم الخاص بهم يدعى "يهوه"، وأن ما ورد في المصدر الإيلوهيمي في التوراة عن حياة الآباء ما هو إلا آثار بسيطة لتراث إبراهيم عليه السلام الديني في مقابل ضمور هذا المصدر واسم الإله إيل في معظم أسفار التوراة والأسفار اليهودية المقدسة الملحقة بها ليحل محله الإله "يهوه" إلها خاصا لليهود، وأن المصدر اليهوي في حياة الآباء في سفر التكوين هو من إضافات كتبة التوراة بعد تحول اليهود لعبادة هذا الإله بعد فترة زمنية طويلة لاحقة لعصر الآباء. [1]

فنستنتج عددا من الأدلة التاريخية التي تؤكد عدم علاقة وصف العبرانيين في إطلاقه على الآباء وعصرهم التاريخي بالديانة اليهودية:

أولاً: دلالة هذا الوصف على حالة اجتماعية خاصة وعدم دلالته على أية ظاهرة دينية سواء متعلقة باليهودية أو بغيرها من الأديان.

ثانيا: دخول عدد كبير من القبائل الآرامية في هذا الوصف وليس بني إسرائيل وحدهم، وأن هذه القبائل لا تشترك في شيء إلا بصفة العبور والترحال والهجرة، الأمر الذي دلت عليه مصادر ووثائق الأمم السابقة، وأنه لا يمكن الاعتماد تاريخيا على نسبة العبرانيين إلى عابر بن سام واختصاص اليهود بهذه النسبة دلالة على عبرانيتهم.

ثالثا: أن القبائل التي وصفت بالعبرانية كانت ترتبط بالأصل الآرامي العربي وكانت لغتها الآرامية وليست العبرية.

رابعا: أن عبرانية الآباء عبرانية طارئة وليست أصلية في حياتهم حدثت بعد هجرتهم من أرض العراق ثم انتهت من تاريخ بني إسرائيل بعد تبدل حياتهم من حياة الهجرة إلى حياة الاستقرار بعد وفاة موسى عليه السلام.

خامسا: أنه لا إمكانية للحديث عن دين واحد يجمع القبائل العبرانية سواء اليهودية أو غيرها.

وانظر: عرابي، رجا عبد الحميد – سفر التاريخ اليهودي – دار الأوائل، دمشق – ط 1، 2004 – ص 66 – 67.

1 – انظر: هويدي، أحمد محمود – تاريخ الآباء وديانتهم في ضوء نظرية مصادر التوراة – مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة– المجلد 60 العدد 1 – يناير 2000 – ص 217 – 218.

سادسا: عدم ورود أي ذكر لليهود أو اليهودية في الفترة التي وصف فيها الآباء بالعبرانيين، ولم يكن لليهود واليهودية أي وجود تاريخي في الفترة التاريخية التي ظهرت فيها ظاهرة العبرانيين.

سابعا: توفر الأدلة التوراتية والقرآنية التي تؤيد أن وصف العبرانيين يدل على حالة اجتماعية بدوية ولا يدل على دين معين.

المطلب الثالث: اللغة التي تحدثها الآباء وعلاقتها بالديانة اليهودية

إن المنطق التاريخي يقتضي أن اليهودية لو تأسست في عصر الآباء لكانت لاتزال تحمل مقومات اللغة التي كانوا يتحدثونها لحد الآن سواء في كتابة أسفار التوراة أو في طبيعة لغتهم وخصائصها اللغوية، ولقد تعددت الآراء حول اللغة كان يتحدثها الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وأهم هذه الآراء ما يلي:

الرأي الأول: يذهب إلى أن ابراهيم عليه السلام والآباء تحدثوا عددا من اللغات على حسب المناطق الجغرافية التي عاشوا فيها وهاجروا اليها في منطقة الشرق الأدنى القديم، فكان إبراهيم عليه السلام يتحدث اللغة الكلدانية حين كان في بلد مولده وهي مدينة أور الكلدانيين، وحين هاجر إلى حاران إحدى مدن السوريين الآراميين استخدم اللغة الآرامية، وحين هاجر منها إلى أرض كنعان وكان أهلها يتكلمون اللغة العبرية فتكلم بها أثناء إقامته بينهم إلى نهاية حياته. [1]

الرأي الثاني: أن اللغة تحدثها الآباء هي لهجات قديمة قريبة من اللغة العبرية في صورتها القديمة جدا، وذلك بالاستدلال بأسماء الذات الشخصية التي سادت في عصرهم وأصلها يعود إلى اللغة العبرية مثل إسماعيل ويعقوب وعدد كبير من الكلمات

1 – انظر: شنودة، زكي – المجتمع اليهودي – مكتبة الخانجي، القاهرة – ب. د – ب. ط – ص 525.

السامية الغربية التي تعتبر غريبة عن اللغة الأكادية إحدى لغات أهل العراق والتي صيغت بها وثائق ماري والتي تعبر عن عصر الآباء.[1]

الرأي الثالث: أن الآباء كانوا يتكلمون اللغة العربية القديمة التي كانت سائدة في منطقة جغرافية واسعة تمتد من اليمن جنوبا إلى بلاد الشام شمالا بما فيها أرض مصر وكان يطلق عليها اسم اللغة السريانية، وقد رجح هذا الرأي الدكتور أحمد داوود حيث ذهب إلى أن: "اللغة العربية بلهجتها الشرقية دعيت "السريانية" وأنها سادت لغة رسمية في شتى أرجاء ممالك العراق وسوريا والحجاز واستمرت زهاء ثلاثة آلاف عام، وبالرغم من أن المستشرقين يسمونها مرة أكادية وأخرى بابلية وآشورية وكلدانية فقد ثبت أخيرا أنها لغة واحدة، وهي العربية القديمة بلهجتها الشرقية السريانية وصار سكان المنطقة الذين يتحدثون هذه اللغة يعرفون بالسريان أو السوريين".[2]

---

1 – مالمات، أبراهام – تدمور، حاييم – العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية– ترجمة د. رشاد الشامي – المكتب المصري، القاهرة – ط 1، 2001 – ص 117.

2 – داوود، أحمد – العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود – ص 30.

وقد أشار الى هذا الرأي الأستاذ عباس العقاد في كتابه "إبراهيم أبو الأنبياء" حيث يقول: "إن إبراهيم عليه السلام كان يتكلم اللغة العربية، ولكن ليست العربية التي نكتبها اليوم أو التي نقرأها في كلام الشعراء الجاهليين ومن عاصرهم من العرب الأقدمين، فلم يكن أحد يتكلم هذه اللغة في عصر إبراهيم ولا في العصور اللاحقة به إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وإنما اللغة العربية المقصودة هي لغة الأقوام التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية وتهاجر منها واليها في تلك الحقبة، وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء، وقد عرفت تلك اللغة حينها باسم اللغة السريانية خطأً من اليونان في التسمية لأنهم أطلقوا اسم أشورية أو أسورية على الشام الشمالية، فشاعت تسمية العربية باسم السوريانية والسريانية من المكان الذي أقامت فيه بعض قبائل العرب الوافدة من شبه الجزيرة منذ أقدم العصور قبل عصر إبراهيم بزمن طويل، واشتملت هذه اللغة السريانية في بعض الأزمنة على عدة لغات لا تختلف فيما بينها إلا كما اختلفت لهجات القبائل العربية قبل الدعوة الإسلامية. أنظر: العقاد، عباس – موسوعة عباس العقاد – إبراهيم أبو الأنبياء – دار الكتاب العربي، بيروت – ط 1، 1970 –ج1 – ص 455 – 456.

ويؤكد جودت السعد أن اللغة الأكادية البابلية والآشورية والعمورية الكنعانية والآرامية والعربية هي واحدة في جذورها وما طرأ عليها من تمايز كان بفعل البعد الجغرافي والاختلاط الاجتماعي ولكنها تظل لهجات للغة واحدة كانت سائدة في الجزيرة العربية.[1]

في الوقت الذي تؤكد فيه الدراسات المستفيضة للغة العبرية إلى بعدها عن الكنعانية "الفينيقية" واذا كان من صلة فناتج عن صلة الكنعانية بالآرامية وعلاقة العبرية بالآرامية،[2] وإن العبرية ما هي إلا لهجة آرامية مكتسبة تحولت تاليا الى لغة مستقلة سميت بالعبرية،[3] وإن اللغة التي كتب فيها عزرا التوراة أيام الأسر البابلي كانت الآرامية ولم تكن العبرية وأصبحت اللغة الآرامية هي اللغة المقدسة لدى اليهود وإن أقدم المخطوطات العبرية لم تتجاوز القرن الثاني قبل الميلاد ولم يتم العثور لحد الآن على أي مخطوط أو نص باللغة العبرية قبل ذلك التاريخ على الإطلاق. [4]

فسواء كانت لغة الآباء اللغة الكلدانية أو الآرامية أو الكنعانية فإنها كلها تعد لهجات من اللغة السريانية[5] التي هي العربية القديمة في أصلها وإن اختلف مسماها، وأنه بينها قاسم مشترك واحد وتعود إلى أصل لغوي واحد، يقول الدكتور أحمد سوسه: "إن ابراهيم عليه السلام كان يفهم لسان أهل البلاد التي توجه اليها وهاجر اليها حيث كانت كلها تتكلم بلغة واحدة"،[6] ولكنهم لم يتحدثوا اللغة العبرية بحال من الأحوال نظرا لحداثة نشأتها بالنسبة لعصر الآباء.

---

1 - السعد، جودت – أوهام التاريخ اليهودي – الأهلية للنشر، الأردن – ط 1، 1988 – ص 213.

2 – نفس المرجع – ص 229.

3 - نفس المرجع – ص 242.

4 - نفس المرجع – 243 – 244، وانظر: الجمل، أحمد - مدخل إلى تاريخ أدب اللغة الآرامية السريانية – ب. د، حقوق الطبع للمؤلف – ط 2، القاهرة، 2018 - ص 11.

5 - انظر: الجمل، أحمد – مدخل إلى تاريخ أدب اللغة الآرامية السريانية – ص 20.

6 - انظر: سوسه، أحمد – العرب واليهود في التاريخ – ص 255 – 256.

فلم تكن لغة الآباء العبرية التي يعتبرها اليهود لغة دينية مقدسة وخاصة بهم، وليست العبرية التي تحدثها اليهود في عصورهم القديمة فضلا عن عصرهم الحديث، ولهذا يؤكد احمد العلوي أن لغة التخاطب التي كانت سائدة بين العبرانيين أثناء قدومهم إلى أرض كنعان هي الآرامية، وقد كتب بها اليهود أهم كتبهم وهو التلمود البابلي والمشنا، وإن اللغة الآرامية كانت لغة التخاطب الأولى بين قبائل المنطقة، أما اللهجة العبرية الأولى فقد كانت خليطا بربريا من الفينيقية والكلدانية المحرفة ناقصة في تصريفات الأفعال فقيرة في أدوات التعبير وحوالي سنة 1400 ق.م أصبح للغة العبرية شخصية مستقلة تفرعت عن اللغة الكنعانية –أي بعد عصر الآباء بحوالي 600 – 300 سنة من عصر إبراهيم إلى عصر يعقوب عليه السلام– وظلت اللغة العبرية أداة التخاطب بين الإسرائيليين نحو ألف عام ثم عادت الآرامية لغة للتخاطب بين الإسرائيليين وانحصر دور اللغة العبرية في الكتابات الدينية، أما العبرية الحديثة فقد تم ابتكارها في القرن التاسع عشر على يد مفكري الحركة الصهيونية لتوحيد اليهود في العالم حول لغة قومية ودينية واحدة،[1] ولكنها لا تمت بأية صلة للغة التي كان يتحدث بها الآباء في عصرهم.

وإن اللغة التي أشار اليها سفر الملوك في التناخ (ونادى بصوت عظيم باليهودي)[2] هي اللغة الكنعانية التي كان يتحدثها اليهود بعد دخولهم أرض فلسطين بعد عصر الآباء وعصر موسى عليه السلام بفترة طويلة، ويرجح أنها اللغة التي صيغت بها الكتابات الأولى لأسفار التوراة في تلك الفترة قبل الجمع التوراتي الذي حدث في الأسر البابلي.[3]

1 – العلوي، أحمد بابانا – اليهودية الدينية والتاريخية – مجلة الملتقى، المغرب – العدد 30 – 2014– ص 57. وانظر: رابين، حاييم – مختصر تاريخ اللغة العبرية – ترجمة د. طالب القريشي – بيت الحكمة، بغداد – ط 1، 2010– ص 8 – 10.

2 – سفر الملوك الثاني 18: 28

3 – العلوي، أحمد بابانا – اليهودية الدينية والتاريخية – مجلة الملتقى، المغرب – العدد 30 – ص 57.

بينما اللغة العبرية التي خطت بها مدونة التوراة الحالية فهي العبرية الحديثة التي لم تتضج إلا بعد فترة زمنية طويلة بعيدة عن عهد الآباء وعهد موسى عليهم الإسلام، وهجرها اليهود إلى اللغة الآرامية وتم ترجمة عدد من أسفار التوراة اليها بما يسمى بـ "الترجوم" ثم عادوا اليها في عصرنا الحديث. [1]

ومن الملفت للنظر أن التوراة لم تذكر اللغة العبرية في كافة أسفارها في الوقت الذي أشارت فيه الى لغة كنعان حين ذكرت أن الموسويين تحدثوا بلغة كنعان والتي أطلقوا عليها اسم "شفة كنعان" وأشارت كذلك إلى الآرامية والبابلية. [2]

وكذلك فيما يتعلق باللغة التي استخدمها إبراهيم عليه السلام في هجرته إلى مصر في العصر الذي عاشه قرابة الألف الثاني قبل الميلاد، وهل كانت لغة مختلفة عن اللغة السريانية العربية التي كان يتحدثها هو وأبنائه؟، فإن دراسة مستفيضة وواسعة للدكتور علي فهمي خشيم بعنوان: "آلهة مصر العربية" أثبت من خلالها بمئات الأدلة والمقابلات اللغوية أن اللغة الهيروغليفية المصرية تتصل في أصولها اللغوية باللغات السامية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية وشمالها من أرض العراق وبلاد الشام قديما، أكثر من اتصالها بفرع اللغات الحامية، وعمل على رد عدد كبير من الكلمات والألفاظ في اللغة المصرية إلى أصلها العربي أو ما يقابلها من الألفاظ العربية أو أقرب الألفاظ اليها.[3]

---

1 – انظر: شحلان، أحمد، وآخرون – لغات الرسل وأصول الرسالات – منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، الرباط – ط 1، 2002 – ص 50 – 51.

2 – السعد، جودت – أوهام التاريخ اليهودي – ص 207، وانظر: سفر الملوك الثاني 8: 26، وسفر إشعياء 36: 11، وسفر إشعياء 19: 20.

3 – انظر: خشيم، علي فهمي – آلهة مصر العربية – الدار الجماهيرية، ليبيا، مصراته – دار الآفاق الجديدة – الدار البيضاء – ط 1، 1990 م ص 153 – 195.

وانظر: عمر، أحمد مختار – تاريخ اللغة العربية في مصر– الهيئة المصرية العامة، القاهرة – ط 1970– ص 14 – 15.

ولو كانت الديانة اليهودية تأسست في عصر الآباء لاحتفظت التوراة والكتابات اليهودية المقدسة بالمقومات اللغوية للغة التي كان يتحدثها الآباء وهي اللغة السريانية العربية الأصل التي كانت منتشرة في أرجاء منطقة الشرق الأدنى القديم، ولما اوجدوا لغة خاصة بهم تكونت من خليط من عدد من اللهجات واللغات المحكية في تلك المنطقة والتي ابتعدت عن أصلها الأول الذي كان سائدا في عصر الآباء عليهم السلام.

المطلب الرابع: اثبات التوراة عدم اختصاص اليهود وحدهم بالنسب إلى إبراهيم عليه السلام

تثبت التوراة في سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام سيصبح أبا لجمهور من الأمم وليس لأمة واحدة بعينها بشكل خاص، فقد ورد فيه (א וַיְהִי אַבְרָם, בֶּן-תִּשְׁעִים שָׁנָה
וְתֵשַׁע שָׁנִים; וַיֵּרָא יְהוָה אֶל-אַבְרָם, וַיֹּאמֶר אֵלָיו אֲנִי-אֵל שַׁדַּי--הִתְהַלֵּךְ לְפָנַי,
וֶהְיֵה תָמִים. ב וְאֶתְּנָה בְרִיתִי, בֵּינִי וּבֵינֶךָ; וְאַרְבֶּה אוֹתְךָ, בִּמְאֹד מְאֹד. ג וַיִּפֹּל
אַבְרָם, עַל-פָּנָיו; וַיְדַבֵּר אִתּוֹ אֱלֹהִים, לֵאמֹר. ד אֲנִי, הִנֵּה בְרִיתִי אִתָּךְ; וְהָיִיתָ,
לְאַב הֲמוֹן גּוֹיִם. ה וְלֹא-יִקָּרֵא עוֹד אֶת-שִׁמְךָ, אַבְרָם; וְהָיָה שִׁמְךָ אַבְרָהָם, כִּי
אַב-הֲמוֹן גּוֹיִם נְתַתִּיךָ. ו וְהִפְרֵתִי אֹתְךָ בִּמְאֹד מְאֹד, וּנְתַתִּיךָ לְגוֹיִם; וּמְלָכִים, מִמְּךָ
יֵצֵאוּ)[1]

وترجمة النص الحرفية:(**وكان أبرام ابن تسعين سنة وتسع سنوات، ورئي يهوه إلى أبرام وقال له أنا إيل شداي سر أمامي وكن تاما فأعطي عهدي بيني وبينك وأكثرك جدا جدا، فسقط أبرام على وجهه وكلمه إيلوهيم قائلا: أنا ها عهدي معك فتكون أبا جمهور أمم ولا يدعى بعد اسمك ابرام فيكون اسمك أبراهام لأن أبا جمهور أمم جعلتك، وأثمرك جدا جدا وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون).**[2]

---

1 – سفر التكوين، 17: 2.

2 – راجع ترجمة النص الحرفية: الفغالي، بولس– عوكر، أنطوان – العهد القديم العبري ترجمة بين السطور– الجامعة الإنطوانية– توزيع المكتبة البولسية – جونيه، لبنان – ط 1، 2007 – ص 22 – 23

فإذا كانت التوراة تثبت أن إبراهيم عليه السلام سيكون أبا لأمم كثيرة وليس لأمة مخصوصة بعينها فكيف يصدق ادعاء اليهود بأن نسلهم تكون من نسل إبراهيم عليه السلام بصفة خاصة وديانتهم تكونت بدعوته بصفة خاصة، وهذا النص يدل على أن جميع أبناء إبراهيم عليه السلام من كافة زوجاته لهم شرف الانتساب له وليس فقط نسل ابنه اسحاق وحده الذي تكون منه بني إسرائيل.

ويذهب الأستاذ رؤوف أبو سعده إلى أن التغير الذي حدث في اسم إبراهيم عليه السلام من أبرام إلى أبراهام لا يدل على أن ابراهيم عليه السلام سيصبح أبا لجمهور من الأمم فقط –كما فسر النص العبري معنى الاسم– وإنما يدل على معناً أبعد من ذلك وهو أن معنى اسم ابراهام في العبرية يعني "إمام الناس" وهذا يدل على أن دعوة إبراهيم عليه السلام الدينية كانت لكل الناس وليست لأمة مخصوصة من نسل ابنه إسحاق وحفيده يعقوب عليهما السلام ، وأن اسمه يتكون من " أب + راب + هام " ويعني معنى راب في العبرية " كثير و رئيس"، وتستخدم في العبرية كصفة تدل على التمجيد، وأنه تم المزج بين راب وهام لاستثقال النطق فحذفت الباء من راب، ومعنى " هام" في العبرية " الناس" وليس جمهور كما فسرها كتبة النص فيصبح اسمه يعني "الاب الكبير أو الرئيس للناس" ويعني "إمام الناس" وهو نفس الوصف القرآني لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : **(وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)** [1].[2]

وأعتقد أن إضافة "راب" إلى الاسم هو من وضع كتبة هذا النص – للدلالة على كثرة أبناء يعقوب عليه السلام وقبائلهم من نسل ابراهيم وأن الكثرة تدل عليهم وحدهم– وأن الأصل إبقاء الاسم على حاله الأول أبرام "أب + رام" وتعني "الأب العالي أو المرتفع أو ذو الشأن" على اعتبار أن رام "רם" تعني في العبرية المرتفع أو السامي أو العالي، ومثلها "קול רם" وتعني الصوت العالي، وأيضا "רם–דרג" وتعني عالي

1 – سورة البقرة، الآية 124.

2 – أبو سعده، رؤوف – من إعجاز القرآن، العَلَم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن – وجه في إعجاز القرآن جديد – دار الهلال – ب. ط – ج 1 – ص 269 – 270.

المستوى أو ذو رتبة رفيعة،[1] وأن المزج اللغوي حصل في "رام" وليس في "راب" أي "أب + رام + هام"، فحصل المزج اللغوي لاستثقال النطق بين رام وهام فأصبحت ابراهام وتعني الأب العالي أو المرتفع لجميع الأمم أو الناس، فهو أب لجميع الأمم وليس لأمة واحدة مخصوصة بعينها.

وينسجم هذا التفسير لاسم إبراهيم عليه السلام مع طبيعة حياته، فقد كان في زمنه أبرز شخصية في كل المنطقة بين كل شعوب الآراميين القدماء حتى إنه أصبح شيخا أو سيدا معنويا لهم ولا تعني أنه هو سبب مولدهم وإنما هي أبوة معنوية روحية، وأن كلمة أب هنا لا تعني الأبوة المرتبطة بالنسب وإنما هي الأبوة الروحانية .[2]

فنبوة إبراهيم عليه السلام انتشرت في الآفاق وكان على اتصال بعدد من المناطق في الشرق القديم فعرفه الآراميون وعرفه المصريون وعرفه العرب في شبه الجزيرة العربية وعرفه بشكل جيد الكنعانيون فاستقبلوه وأعطوه الجزء الجنوبي من أرض كنعان مسكنا له ولبنيه، ولم يرفضوا اقامته وبنيه بينهم حتى عاش حياته بينهم ودفن في أرضهم.[3]

وهذا يدل على أن له من الاحترام والتوقير الشيء الكبير بين هذه الأمم، حيث أثرت دعوته للتوحيد وتعاليمه التي جاء بها من وحي الله تعالى بأهل هذه المناطق جميعها، ولا أدل على ذلك من سكن ابنه إسماعيل في أرض مكة وتردد إبراهيم عليه من أرض كنعان، واتصاله بقبيلة جرهم العربية وتعليمه إياهم الحج الذي بقي في ميراث العرب الديني قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه السلام إلى وقتنا الحاضر، بعد أن أتم بناء الكعبة المشرفة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام.

---

1 – انظر: بشارة، يوسف – عثامنه، رشاد – القاموس الشخصي عبري عبري عربي – دار الهدى– ط 2007 – ص 676.

2 – المرادي، نوري – شنعار أرض اللاهوت ومدفن الأسرار – دار الحصاد، دمشق – ط 1، 2006 – ص 655.

3 – انظر: سوسه، أحمد – العرب واليهود في التاريخ – ص 255 – 256.

وهنا نستنتج أن معنى اسم ابراهيم عليه السلام الأب الرفيع لجميع الأمم، يساوي تماما "أبو الأنبياء" ويساوي قوله تعالى: (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** ،[1] فكل الأنبياء والرسل الذين جاؤوا لجميع الأمم في منطقة الشرق الأدنى القديم كانوا من نسله، وهذا دليل على أن رسالته وبعثته وتعاليمه لم تكن مخصوصه بقوم معينين وإنما كانت لعدد من الأمم والشعوب التي كانت تعيش في المنطقة.

ولنا هنا وقفة مع تفسير كتبة التوراة اسم ابراهيم عليه السلام في النص السابق عندما قالوا: " וְהָיִיתָ, לְאַב הֲמוֹן גּוֹיִם" وتقرأ "فهييت لـ أب هامون جوييم" وتعني "فتكون أبا جمهور أمم" ، ومعروف لدى اليهود أنهم لا يطلقون كلمة "جوييم" إلا على كل من ليس بيهودي ولا يطلقونها على أنفسهم أبدا، لأنها تعني وتدل على كل الأمم من غير اليهود، ولها في فكرهم الديني دلالات دينية وعقدية وعرقية تشير إلى التقليل من شأن الأمم والتمييز بينهم وبين اليهود، وتطور هذا المصطلح وأصبح وصفا على الأمم وليست مجرد اسم، فأغرق التلمود في وصف الجوييم بأسوأ الأوصاف وأدناها، وبالغ في إحداث التمييز بينهم وبين اليهود.[2]

وإن استخدام هذا الكلمة في تفسير كتبة التوراة لمعنى اسم ابراهيم عليه السلام في النص السابق تثبت أنه سيصبح أبا لجميع الأمم سواء بني إسرائيل واليهود أو غيرهم، وأن أبوته ليست مختصة بهم وحدهم، ولو كان سيصبح أبا لليهود وحدهم لاستخدموا كلمة "هامون يهوديت" أو "هامون يسرائيليم"، فإن وجود هذا المصطلح "جوييم" في النص يدل دلالة أكيدة على صلة إبراهيم عليه السلام ودعوته ونبوته بجميع الأمم من غير اليهود، ولا أدرى كيف بقيت هذه الكلمة في هذا النص ولم يبدلها كتبة التوراة او المنقحين لها التوراة مع ما تحمله من معنا ديني وعرقي لا يتوافق مع معتقدهم في

---

1 – سورة النحل، الآية 120

2 – انظر: ايبش، أحمد – التلمود كتاب اليهود المقدس – دار قتيبة، دمشق – ب. ط – ص 396.

تصورهم لإبراهيم عليه السلام وأبنائه وخصوصيتهم بالشعب الإسرائيلي التي أجهدوا أنفسهم لإثباتها من خلال التوراة نفسها.

المبحث الثالث: البعد التاريخي بين عصر "الآباء" وتأسيس اليهودية ديانة خاصة.

ارتبط اسم "اليهود" بقبيلة يهوذا بن يعقوب عليه السلام بعد فترة الانقسام التي حدثت بعد وفاة سليمان عليه السلام وإن اسم اليهود لم يظهر في التاريخ إلا بعد هذه الفترة قرابة القرن العاشر قبل الميلاد أي بعد عصر الآباء بحوالي 700 – 800 سنه، ولم يظهر في عصرهم أي اسم له علاقة باسم اليهود أو اليهودية على الاطلاق، حيث ظهر هذا الاسم بداية علما على الدين الذي تؤمن به قبيلة يهوذا بن يعقوب الذين هم جزء من بني إسرائيل بدلالة قبلية وقومية، وبعد السبي البابلي سنة 586 ق. م أصبح اسما دينيا خاصا يتعلق بكل من يتبع هذا النمط والفكر الديني الذي تم تأسيسه في فترة السبي البابلي بعد سنة 586 ق.م .

وإن الديانة اليهودية لم تتأسس تاريخيا في فترة الآباء الأوائل إبراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام، وإن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا يهودا بيوم من الأيام، وكذلك لم تتأسس في فترة موسى عليه السلام وإن موسى عليه السلام لم يكن يهوديا ولم يدعُ لليهودية ولم تكن ديانته التي أوحي إليه بها الدينية اليهودية، وإن دعوته كانت عبارة عن حركة تجديد في ديانة بني إسرائيل "الحنيفية الإبراهيمية" ولم تكن موجهة لليهود ولم يكن اسم اليهود قد ظهر آنذاك في التاريخ أصلا.

لقد تكونت الديانة اليهودية ديانة مستقلة بعقائدها وعباداتها وتشريعاتها ونظامها الديني والاجتماعي بتكون تراثها الديني الذي مثلته كتبها وأسفارها المقدسة والشروح والتفسيرات الدينية التي وضعت على هذه الكتب من قبل فقهاء اليهود وعلمائهم، حيث يرتبط تأسيس هذه الديانة ارتباطا وثيقا بتاريخ تأسيس هذا التراث الديني، ونجد أن هذا التراث تأسس في فترة لاحقة وطويلة بعد عصر الآباء.

لقد عاش الآباء في فترة تاريخية سابقة على عهد موسى عليه السلام والأحداث الكبرى التي تأسست من خلالها الديانة اليهودية بعد موسى عليه السلام بزمن طويل،

وسابقة للفترة التاريخية التي نزلت فيها التوراة وصيغت فيها تشريعات الديانة اليهودية وبنائها العقدي، والفترة التاريخية التي تم فيها إعادة كتابة التوراة وكتابة شروحاتها الدينية.

حيث تقدر الفترة التي عاش فيها الآباء ما بين بدايات القرن التاسع عشر إلى نهايات القرن السابع عشر قبل الميلاد، أي حوالي مئتي سنة، بدأت بظهور إبراهيم عليه السلام نحو عام 1900 ق.م، وانتهت بوفاة يعقوب عليه السلام التي تقدر بنحو عام 1700 ق.م. [1]

إن الفترة التاريخية الأساسية التي تكون فيها التراث الديني للديانة اليهودية هي فترة السبي البابلي التي بدأت في القرن الخامس قبل الميلاد 586 ق.م واستمرت قرابة ستين عاما، والتي وقعت على إثر الحملة العسكرية التي قادها نبوخذ نصر البابلي على المملكة الجنوبية "مملكة يهوذا " وهدم على إثرها أسوار القدس وأحرق معبدها وأحرق ما كان بين يدي اليهود من كتابات للتوراة.

أي بعد عصر الآباء التاريخي بما يزيد عن ألف ومائة عام، منذ وفاة آخر الآباء وهو يعقوب عليه السلام وبعد عصر ابراهيم عليه السلام بقرابة ألف وثلاثمائة عام، وبعد الفترة التي عاش فيها موسى عليه السلام بقرابة سبعمائة وخمسين عاما وهذه فترات طويلة جدا.

لقد كونت حادثة السبي البابلي هزة نفسية ودينية عنيفة في نفوس اليهود الذين تم سبيهم بعد استقرارهم في أرض بابل أدت الى نشأة عدد من العوامل الأساسية التي دفعت اليهود المسبيين إلى تأسيس تراثهم الديني بشكل مركز ومدروس في فترة السبي البابلي منها:

العامل الأول: إن سبي اليهود إلى بابل لم يكن يحمل مفهوم السبي المتعارف عليه بعد وصول اليهود إليها، حيث وطن البابليون اليهود في مدينة بابل ومحيطها في

1 – انظر: شحلان، أحمد – لغات الرسل وأصول الرسالات– ص 45. وانظر: عبد العليم، مصطفى كمال– راشد، سيد فرج – اليهود في العالم القديم – دار القلم، دمشق – الدار الشامية، بيروت– ط 1، 1995 – ص 27. وانظر: عرابي، رجا عبد الحميد – سفر التاريخ اليهودي – ص 56.

أماكن خصبة، وسمحوا لهم أن يتعايشوا مع حاضرهم الجديد وأن يستفيدوا من التطور الحضاري في بابل من ثقافة وآداب وعلوم وأن ينخرطوا في ممارسة نشاطاتهم الحياتية وبخاصة الزراعية والتجارية المحلية، والاستفادة منها في حياتهم الجديدة، بصورة كان يقصد منها دمجهم في المجتمع البابلي.[1]

العامل الثاني: إن اليهود المسبيين عانوا من نظرة الشعوب الاثنية المتعددة في أرض بابل إليهم، على اعتبارهم من الجماعات العبرية المكروهة، وعلى اعتبارهم شعبا مهزوما تاريخيا، وهو الأمر الذي أدى إلى تنامي مشاعر التزمت بالانتماء إلى التراث الديني اليهودي القديم الذي كان قبل حادثة السبي، وأدى إلى تنامي مشاعر العنصرية اليهودية على اعتبار أنهم شعب الله المختار، الأمر الذي ساهم في النهاية بتبلور الديانة اليهودية من خلال هذه الفكرة الدينية التي تم إسقاطها على التاريخ اليهودي في كتاباتهم الدينية وبالذات في تلك المرحلة، والتي أرادوا منها أن تكون ردا على من كانوا يتهمونهم بوضاعة أصولهم العبرية .[2]

العامل الثالث: أن اليهود بعد السبي قاموا بتفسير ما حل بهم من شقاء وتدمير لدولتهم ومعبدهم وسبيهم إلى بابل أنه ما كان الا نتيجة مؤكدة لعدم اتباعهم شرائع يهوه وكفرهم به وعبادتهم الهة أخرى غيره في مرحلة قبل السبي مما دفع الههم الى الانتقام منهم على يد البابليين ، وعزز هذا التفسير عدد من انبياء بني إسرائيل الذي ظهروا اثناء فترة السبي، ومن اهمهم النبي حجاي وإشعياء اللذان ولدا في السبي وكانا يدعوان

---

1 – انظر: الصمادي، إسماعيل ناصر – التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية – دار علاء الدين، دمشق – ط 1، 2005 م – ص 15. وانظر: الشامي، رشاد – اليهود واليهودية وفي العصور القديمة، بين وهم التكوين السياسي وابدية الشتات – ترجمة وتأليف د. رشاد الشامي عن كتاب " السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين " لـ فون باجوت جلوب – المكتب المصري للنشر، القاهرة – ط 1، 2001 – ص 136، الكتاب باسم المترجم.

2 – نفس المرجع – ص 15

للوحدانية النقية وان ما حل باليهود من شقاء في السبي وتدمير دولتهم في ارض كنعان كان وسيلة الهية لتطهير الشعب وفرصة جديدة اتاحها الرب للتوبة. [1]

العامل الرابع: لم يسمح البابليون لليهود بإقامة شعائرهم الدينية بحرية، ونظرا لهذه الصعوبة في إقامة العبادات والطقوس قاموا باستبدالها بالقربان والصيام والصلاة واضطروا إلى التغاضي عن أداء طقوس السبت، الأمر الذي كان يدعو إلى الأسى في نفوسهم، وفسرت على أساسه مصائبهم وما حل بهم ولذلك كانت دعوة النبي حزقيال بينهم لتطهير الشعب وإعداده وتهيئته للعودة إلى أرض كنعان، وإعادة بناء دولة داوود وسليمان عليهما السلام وإعادة بناء معبد القدس. [2]

العامل الخامس: أن اليهود الذين تم سبيهم إلى بابل سنة 586 ق.م كانوا من أهل المملكة الجنوبية مملكة يهوذا، وعندما وصلوا إلى بابل واكتشفوا حالة الذوبان التي طالت أهل المملكة الشمالية "مملكة إسرائيل" والتي كانت تتكون من عشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل عدا قبيلة يهوذا وقبيلة بنيامين، والذين تم سبيهم على يد الآشوريين سنة 721 ق.م، وكيف أن الآشوريين أسكنوهم في مناطق متفرقة في شمال العراق مما أدى إلى ذوبانهم تماما في المجتمع الآشوري وفقدوا خصوصيتهم الدينية والاجتماعية والعرقية وانتهت هذه القبائل العشرة من التاريخ، خاف كهنتهم أن يحل بهم ما حل بأهل المملكة الشمالية فتنامى لديهم الشعور القومي والعرقي بشكل كبير وحاول كهنتهم أن يحافظوا على خصوصية المجتمع وحمياته من الذوبان في المجتمع البابلي.[3]

وهذا الأمر جعل الكهنة يشعرون بقلق شديد تجاه الذات والأنا اليهودية في بوتقة الحضارة البابلية الرافدية، فبدأوا ببث الروح القومية والدينية في بابل فأصبحوا أكثر تمسكاً بيهوديتهم، الأمر الذي ساهم في تشكيل مجتمع يهودي متماسك، وعملوا على بناء كنيس في بابل تعويضا عن الهيكل والتفوا حوله واستبدلوا أورشاليم ببابل كعاصمة

1 – انظر: عبد العليم، مصطفى كمال – راشد، سيد فرج – اليهود في العالم القديم – ص 170.

2 – انظر: نفس المرجع ص 170 – 171، وانظر: سفر حزقيال 20:20

3 – انظر: الصمادي، إسماعيل ناصر– التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية – ص 15.

دينية مؤقتة وهو الأمر الذي ساهم في زرع الشقاق والأفكار العنصرية والبغضاء بينهم وبين باقي الإثنيات في بابل. [1]

فنتج عن اجتماع هذه العوامل ثلاثة نتائج مهمة لهما علاقة بتأسيس الديانة اليهودية وتأسيس المجتمع اليهودي وتأسيس أفكاره الدينية بشكل مغرق في الخصوصية وهي:

النتيجة الأولى: نشأة اتجاهين في المجتمع اليهودي في مرحلة السبي البابلي: اتجاه دنيوي قريب من قبول الأمر الواقع في المنفى والانسجام مع الحياة الجديدة، واتجاه ديني يحمل الطابع الكهنوتي أكثر تعلقا بالقومية اليهودية والقومية العبرانية، وقد قدر لليهودية أن تتطور بالتفاعل بين هذين الاتجاهين.[2]

النتيجة الثانية: تغلب الاتجاه الديني "النبوي والكهنوتي" على اتباع الاتجاه الدنيوي في المجتمع اليهودي، وعملهم الحثيث على الحفاظ على خصوصية المجتمع اليهودي والحفاظ على قوميته العرقية والدينية وتمسك أتباع هذا الاتجاه بقيادة المجتمع اليهودي في المنفى لتحقيق هذه الغاية. [3]

النتيجة الثالثة: تنامي الشعور الديني والقومي لدى فئة كبيرة من المجتمع اليهودي وهم فئة الكهنة وسعيهم الحثيث إلى صياغة وتأسيس التراث اليهودي وكتابته وتثبيت نصوصه وإعلانه لجميع أفراد المجتمع اليهودي في المنفى لإعادة ربطهم به دينياً ومشاعرياً، للحفاظ على خصوصية اليهود الدينية والقومية والعمل على إعادتهم إلى أرض كنعان وإعادة إقامة مملكة داوود وسليمان عليهما السلام وإعادة إقامة معبد القدس وعدم الرضا والقبول بالأمر الواقع، والخشية من الضياع والذوبان نتيجة لتجدد غضب الرب على الشعب، وأن عدم القيام بهذه المهمة يعد نسيانا للرب وعبادته والعلاقة به من جديد.

---

1 - نفس المرجع – ص 15 – 16

2 - انظر: موسكاتي، الحضارات السامية – ص 153 – 154.

3 - انظر: نفس المرجع – ص 153.

"وإلى جانب هذا البعث في الشعور الديني حدث تطور وإحكام في الدين المقنن الموضوع في صيغ ثابتة، فوجه الكهنة اهتمامهم إلى دراسة الشريعة دراسة منظمة فأدى بهم هذا الأمر إلى أن يتولوا نشر الأسفار المقدسة فجمعت هذه المصادر التقليدية لتاريخ العبريين ودينهم ورتبت في أقسام كبيرة، أسفار التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار الكتابات، حتى تنقل نقلا أمينا الى الأجيال القادمة ". [1]

فهذه النتائج أدت إلى تحقيق ثلاثة قضايا مهمة تم من خلالها إنتاج الديانة اليهودية وتأسيسها وتمثل انعكاسا لهذه الفترة ولا تمثل الديانة التي كانت في زمن الآباء عليهم السلام وهي:

أولا: إنتاج تاريخ خاص لليهود منسجم مع الاتجاهات الفكرية والدينية الخاصة بقبيلة يهوذا وحدهم، وتم ربط هذا التاريخ بتاريخ العالم من جهة على اعتبار أن العالم بدأ في الأصل يهوديا، وربط هذا التاريخ بتاريخ الآباء من جهة أخرى.

ثانيا: إنتاج الأسفار اليهودية المقدسة وجمعها وكتابتها بصورة تحمل التاريخ اليهودي من خلال هذه الاتجاهات الفكرية والدينية الخاصة بقبيلة يهوذا وتوثيقها في نص مقدس ادعى اليهود أن كتابته تمت بوحي وإلهام من إلههم للكتبة ولعلمائهم وفقهائهم.

ثالثا: إنتاج العقائد والعبادات والتشريعات اليهودية الخاصة بهذه الجماعة الدينية بصورة تتلاءم مع التحولات النفسية والفكرية لليهود في تلك الفترة، فتم إنتاج عقائد جديدة لم تكن موجودة لا في زمن داوود وسليمان ولا في زمن موسى ولا في زمن الآباء عليهم السلام جميعا، ومن أهمها عقيدة المسيح المخلص، وعقيدة ميراث أرض كنعان بعهد إلهي، وعقيدة الشعب المختار، وعقيدة الوفاء الإلهي لشعبه المختار، وعقيدة الشعب النبوي وغيرها من العقائد التي صيغت في هذه الفترة وتم تثبيتها في النص التوراتي ولم تكن موجودة في عهد الآباء ولا في عهد موسى عليه السلام.

---

1 – انظر: نفس المرجع ص 153.

فتم البدء بشكل حقيقي بجمع نصوص التوراة وإعادة كتابتها فنتج في المنفى جزء كبير من أسفار التناخ، ثم قام الكهنة بوضع شرح للتوراة وجمعوا تراث علمائهم السابقين الفقهية والروائية وتعاليمهم الدينية وفتاواهم في كتاب كبير أطلق عليه فيما بعد التلمود.

ومن خلال هذه الأسفار المقدسة ومن خلال هذا العمل الضخم لليهود في المنفى تم تأسيس الديانة اليهودية وتثبيت أسفارها الدينية في نصوص موثقة كتابة، وتمت صياغة هذا الفكر الديني حسب تصور المنفيين الجديد لدينهم وتراثهم الديني ومن خلال الإرث النفسي الذي حملوه نتيجة شعورهم باضطهاد الأمم لهم والانتصار عليهم تاريخيا وشعورهم بنظرة الأمم الدونية لهم ممتزجة بنظرتهم المقدسة لعلاقتهم بكبار الأنبياء في التاريخ الإنساني كإبراهيم وإسحاق ويعقوب.

فتمت صياغة تاريخهم بصورة ممنهجة ومدروسة وتمت صياغة معظم التاريخ اليهودي وما حمله من تعاليم ورسائل ورؤى دينية وتم ربطة بشكل وثيق بعصر الآباء ابتداء من عصر الخليقة وخلق آدام عليه السلام إلى عصر الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم بعصر موسى وهارون ثم بعصر الملكية التي مثلها داوود وسليمان خير تمثيل، ومن خلال هذا العمل تم تأسيس اليهودية ديانة لها طابعها الخاص وعقائدها وعباداتها وتشريعاتها الخاصة، وكل هذا العمل الضخم جاء بعد عصر الآباء بأكثر من ألف عام ولا علاقة لهم به إطلاقا فكيف ينسب إليهم؟

وهنا يقول ويلز عن اليهود: " وترجع أهميتهم في العالم إلى كونهم انتجوا أدبا وتاريخا عالميا ومجموعة من القوانين والتواريخ والمزامير وكتب الحكمة والشعر والقصص والكلم السياسية، وهي التي أصبحت في النهاية ما يسميه المسيحيون باسم العهد القديم، وهو التوراة العبرانية، وقد ظهر ذلك الأدب في التاريخ في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد، والراجح أن ذلك الأدب قد جمع شتاته لأول مرة في بابل، ويضيف: أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجا وعادوا منها متمدنين، وذهبوا إليها وليس لهم

أدب مشترك معروف بينهم، وعادوا إلى أورشاليم ومعهم الشطر الأكبر من مادة العهد القديم".[1]

ويذكر روبين فايرستون أن اليهود في النفي لم يقتصر عملهم على إنتاج الأسفار المقدسة والتلمود وإنما طوروا شكلا جديدا للعبادات اليهودية ومفهومها كالصلاة الجماعية وغيرها من العبادات وأن المنفى في بابل وسع آفاقهم الدينية في كثير من الأوجه التي أثرت تأثيرا عميقا على التقاليد اليهودية الموحدة بعد ذلك.[2]

فالديانة اليهودية لم تعرف أفكارا دينية وطقوسا بشكل شبه متكامل إلا خلال فترة السبي البابلي حيث بُدئ بكتابة أسفار التوراة وهيكل بناء الديانة بمناسكها وفكرها ونهجها وأهدافها، فاليهود لم يشكلوا أطرا واضحة فيما يسمى "دين" قبل فترة السبي البابلي وقبل مرحة المنفى وهو ما بقي في اليهودية إلى عصرنا الحاضر.[3]

ويقول الدكتور أحمد سوسه: " إن اليهود قد استفادوا في أثناء وجودهم في الأسر البابلي من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبسوا الكثير منها وخاصة ما يتعلق بفنون الزراعة والتجارة، وفي بابل مارسوا شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم ومنها كان نشوء التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي فالسبي كان عاملا قويا في تطور الدين اليهودي في القرون التالية ".[4]

فالكهنة هم الذين قاموا بتأسيس وبلورة الدين اليهودي بعد سبيهم إلى بابل ويمكن القول إن الأسر البابلي هو المرحلة المفصلية الحقيقية في تشكل اليهودية من العبرانية

---

1 – هـ. ج. ويلز – موجز تاريخ العالم – ترجمة، جاويد، عبد العزيز توفيق– مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – ط 1967 – ص 89 – 91.

2 – انظر: روبين فايرستون – ذرية إبراهيم – ص 34.

3 – انظر: السعد، جودت – أوهام التاريخ اليهودي – ص 145.

4 – سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – ص 118.

الإسرائيلية الأمر الذي كان أشبه ما يكون بعمل اليهود على توقيع عهد جديد مع الرب تم تدوين أصوله وتثبيت نصوصه ونقلها إلى الأجيال اللاحقة حتى عصرنا الحاضر.[1]

ومن تاريخ السبي البابلي أصبحت الحياة الدينية اليهودية منظمة حسب التعاليم التي وضعها كتبة التوراة وأعيد وضع التاريخ اليهودي من خلال وجهة نظرهم وأعطي وجه جديد للتشريعات والعبادات والطقوس السابقة كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد القديمة وتم تكييف طبيعة اليهود وحياتهم وتفكيرهم للمستقبل كله، فتكونت في الأسر ديانة جديدة أطلق عليها اليهودية. [2]

وهكذا يتبين لنا أن اليهودية بوصفها دينا خاصا لم تتأسس في عصر الآباء وإنما تأسست في عصر لاحق على عصرهم بمدة طويلة تزيد على ألف عام، وأن ما تم وضعه في التوراة عن حياة الآباء وربطهم بالديانة اليهودية كان في وقت لاحق جدا على عصرهم، وأن الآباء لم يكونوا يهودا ولم يشكلوا أصلا للديانة اليهودية يمكن لليهود الانتساب إليه دينيا، وأن ادعاء انتساب اليهودية لهم وتأسيسها في عصرهم كمرحلة أولى أو مبدئية من مراحل التاريخ اليهودي ادعاء لا تسنده الأدلة التاريخية ولا تؤيده على الاطلاق ولا يمكن ان تتفق معه او تتوافق مع ترتيبه الزمني مقابل الزمن الذي نشأة فيه الديانة اليهودية بالفعل، وإن ادعاء انتساب اليهود لهم كان خاضعا لمنهجية الإسقاط التاريخي على حياة الآباء وهذا ما سأبينه في المبحث الرابع والأخير.

المبحث الرابع: منهجية الإسقاط التاريخي في حياة "الآباء" في الفكر اليهودي وأهدافها

إن منهجية الإسقاط التاريخي تعني: تكوين إطار أو قالب تاريخي مخصوص يتم إقحام أو إسقاط مجموعة من الأحداث التاريخية الواقعية أو الحقيقية فيه بطريقة ممنهجة ومدروسة بعناية في صياغة الحدث التاريخي خلاله بصورة مركبة، ويحمل

---

1 – انظر: الصمادي، إسماعيل ناصر – التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية – ص 17.

2 – انظر: حقي، أحمد علوان – أثر عزرا في الديانة اليهودية – مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – المجلد 23 العدد 75 – ديسمبر 2008 – ص 122.

رسائل دينية أو قيمية أو أخلاقية أو عرقية أصولية أو سياسية، بحيث تنسجم مع الإطار التاريخي المصنوع لهذه الأحداث أكثر من تناسبها وانسجامها مع الحقيقة التاريخية بحد ذاتها، ويكون الهدف منها ليس عملية التأريخ نفسها، وإنما إثبات واقعية وحقيقة وجود الإطار أو القالب التاريخي من خلال الحدث التاريخي المقصود إسقاطه فيه.[1]

وعندما يتم استخدام هذه العملية في التأريخ للأحداث بصورة كبيرة في صناعة كتاب مقدس أو صناعة كتاب تاريخي فإنه تصبح منهجية تاريخية وليس حدثا تدوينيا تاريخيا عابرا.

وهذا ما فعله اليهود تماما في الروايات التوراتية التي أرخوا من خلالها لحياة الآباء، فقد صنعوا الإطار التاريخي الذي أرادوه ثم وضعوا فيه تاريخ الآباء وطوعوه ليتناسب تماما مع هذا الإطار أو القالب الذي صنع له مسبقا، وذلك يعني أن اليهود لم يريدوا التأريخ لحياة الآباء بصورة حقيقية تتناسب مع التاريخ الحقيقي الذي عاشوه وتفاصيله المتعددة وإنما أرادوا تثبيت إطار تاريخي معين يتناسب مع معتقداتهم ومع صناعة تصورهم للماضي الخاص بهم من خلال التأريخ لحياة الآباء.

إن الإطار التاريخي الديني الذي أسقط فيه كتبة التوراة روايات الآباء وعلاقتهم بالإله ووعوده لهم في التوراة وفي تراثهم الديني كاملا يتمثل بجوانب دقيقة من خلالها تكون الإطار التاريخي الذي وضعت فيه هذه الروايات، ويتمثل بيهودية الآباء وأن الديانة اليهودية تأسست في عصرهم ومن خلالهم وأنها تأسست من خلال العهود

---

1 – هذا التعريف من صياغة الباحث، بعد عدة قراءات حول هذه المنهجية بصورة غير مباشرة ، ولم أوفق لوجود مرجع يعرف هذه المنهجية بصورة دقيقة، وكل ما وجدته حديثا عن أمثلة هذا الاسقاط التاريخي وتطبيقاته في التوراة ففهمت المقصود منها وهو ما عبرت عنه في هذا التعريف، ومن أهم الدراسات التي تناولت هذه المنهجية وذكرت عددا كبيرا من أمثلتها عموما وليس في روايات الآباء فقط: كتاب "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها" للكاتبين إسرائيل فنكلشتاين و نيل أشر سيلبرمان، وكتاب: "أسفار العهد القديم في التاريخ، اختلاق الماضي" للكاتب توماس تومسون، وكتاب: اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني للكاتبة كيث وايتلام.

والوعود التي تلقوها من الإله والتي تتضمن اعتبارهم شعبا مختارا لله واعتبارهم أبناء الله واحباؤه، واعتبارهم شعبا مقدسا.

وأن نسبهم العرقي يتصل بأشرف وأهم الشخصيات التاريخية التي مرت بمنطقة الشرق الأدنى القديم وعاشت فيه، وأن الآباء يشكلون خصوصية إنسانية تختلف عن باقي البشر بعلاقتها بالإله وبالتالي يرث ابناؤهم هذه الخصوصية من بعدهم ويرثون هذا الاختلاف ومقتضياته، وأن الآباء تلقوا عهودا ووعودا من الإله كانت نقطة البداية للديانة اليهودية وهي التي شكلت الإطار الديني والعقدي لها، وهي التي سيرثها ذلك الشعب المختار والمقدس الذي سينتج عن نسل هؤلاء الآباء.

وأن الأمم والشعوب يجب أن تذعن لهم بالاعتراف بخصوصيتهم وفضلهم وعلاقتهم الخاصة بالإله وأن الاعتداء عليهم هو يمثل اعتداء على أهم الشخصيات التاريخية التي مثلت علاقة الإله بالإنسان على هذه الأرض.

هذا هو الشكل العام للإطار الديني الذي أسقط فيه كتبة التوراة روايات الآباء وطوعوها بصورة مرنة لتتناسب مع تفاصيل وجوانب هذا الإطار التاريخي والديني، ولم يكن همهم التأريخ لحياة الآباء وإنما كان همهم الأساسي تثبيت هذا الإطار من خلال حياة الآباء، وتعميق هذا الإطار في الشعور الديني لكل الأجيال القادمة من أبناء اليهود حتى وإن كان هذا الإطار يتناقض بشكل كبير مع حقائق التاريخ الواقعية لحياة الآباء وتفاصيلها وحقيقة علاقتهم بالإله.

ولهذا يقول كل من الدكتور إسرائيل فنكلشتاين و نيل سيلبرمان في كتابهما " التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها" : " كانت المشكلة الرئيسة تكمن في أن العلماء الذين قبلوا الروايات التوراتية على أنها روايات موثوقة اعتقدوا خطأً أن عهد الآباء يجب أن يرى بشكل او بآخر كمرحلة أسبق في التاريخ المتسلسل لإسرائيل، وأن قصص الآباء كتبت في تاريخ متأخر نسبيا في القرن العاشر إلى الثامن ق.م أو حتى وقت متأخر أكثر في فترة النفي وفترة ما بعد النفي أثناء القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وأن هذه القصص في كلا المصدرين اليهوي والايلوهيمي إنما عكست مخاوف الحكم الإسرائيلي الملكي المتأخر التي تم إسقاطها على حياة الآباء الأسطوريين في ماض

أسطوري بشكل كبير، وإن اختيار القصص وترتيبها كان تعبيرا عن رسالة واضحة أراد كتبة التوراة أن يوصلوها عندما قاموا بجمعها وتدوينها، أكثر من كونه محافظة منهم على روايات تاريخية موثوقة " [1]

ثم يبدآن بنقد روايات الآباء الواردة في سفر التكوين في ضوء المكتشفات الأثرية وإثبات عدم وجود علاقة بين التاريخ اليهودي وتاريخ عصر الآباء، ويذكران أهم دوافع منهجية الإسقاط التاريخي وأهدافها التي وقعت على تاريخ الآباء وحياتهم ومن أهمها:

أولا: محاولة الفصل بين الإسرائيليين والآراميين مع أن سفر التثنية يذكر يعقوب عليه السلام بالآرامي التائه مما يدل على الأصول العرقية المشتركة بين الإسرائيليين والآراميين.[2]

ثانيا: التعبير عن عمق العداء بين الإسرائيليين وجيرانهم العمونيين والموآبين، وتسويغا لطبيعة العلاقة السياسية بين الإسرائيليين والأمم التي كانت مجاورة لهم على أصل العداء من قبل هذه الأمم للإسرائيليين،

ثالثا: التعبير عن احتقارهم للعرب وذلك من خلال وصف إسماعيل عليه السلام بأنه سيصبح إنسانا وحشيا يعادي جميع اخواته ويده تكون على جميع اخوته في نبوءة الملك لأمه هاجر وهي حبلى به، وان عداء العرب للإسرائيليين قضية متأصلة في نفوسهم ورثوها عن ابيهم إسماعيل عليه السلام. [3]

رابعا: أن تكوين سلالة الآباء واستخلاصها بشكل ملفت للانتباه والتأريخ لحياتهم بصورة تشملها الخصوصية ما هو إلا عملية لتجميع قبائل إسرائيل المتفرقة في إطار تاريخ واحد وخلق تاريخ واحد مشترك لها جميعا يميزها عن غيرها وعن كل الأمم التي عاشت بينها ويمزيها في علاقتها بالإله لتأسيس دين خاص يبدأ بهم وبعصرهم،

---

1 – انظر: فنكلشتاين، إسرائيل – سيلبرمان، نيل أشر– التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها – رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار – ترجمة سعد رستم – دار صفحات، دمشق – ب. ط – ص 66.

2 – نفس المرجع – ص 69 – 70.

3 – نفس المرجع، وانظر: سفر التكوين 16: 12

خامسا: إن توثيق علاقة ابراهيم عليه السلام بمدينة الخليل وبالقدس ما هو إلا تأكيد على سيادة أولية وقديمة لمملكة يهوذا على هذه المنطقة منذ أبكر الأيام وأقدم التواريخ. [1]

سادسا: وإن من أهم دوافع منهجية الإسقاط التاريخي الديني في حياة الآباء وأهدافها تأكيد الحماية الإلهية من خلال التأكيد على مباركة الرب للآباء ولذريتهم وتأكيد سيادة يهوذا وذريته على جميع إخوانه وانتصاره على جميع الأمم لذرية داوود عليه السلام التي كانت تمثلها المملكة الجنوبية وهي مملكة يهوذا التي سبي أهلها إلى بابل والذين كتبوا بأيديهم وأيدي كهنتهم حياة الآباء ورواياتها في التوراة لتعكس وجهة نظرهم اليهودية المتعلقة بمملكة يهوذا وحدها، وإقصاء أي مملكة غيرها من التاريخ بما فيها مملكة إسرائيل الشمالية التي كانت تتكون من عشرة أسباط من أبناء يعقوب عليه السلام ليقدم محرري التوراة تاريخ الآباء على أنه تاريخ يهودي كان بداية لمملكة يهوذا وكان بداية لديانة اليهوذيين.

يقول أحمد هويدي: " يتضح أن تاريخ الآباء تم صياغته بما يخدم الرؤية "اليهوذية" نسبة لمملكة يهوذا" للتاريخ وربطه بالإرادة الإلهية وأن الإنسان ليس سوى أداة لتحقيق هذه الإرادة وذلك بغض النظر عن الأحداث السياسية أو التاريخية الحقيقية ". [2]

فكانت كتابة روايات الآباء تعبيرا عن ردة الفعل النفسية والدينية التي عاشها اليهود في السبي البابلي لتشكيل هوية دينية وعرقية وتاريخية تربط اليهود بمنطقة الشرق الأدنى القديم وبأبرز الشخصيات التي كانت لها أثر في تكوينها الديني والحضاري، وبأرض كنعان التي قامت عليها مملكة يهوذا وهي مملكة داوود وسليمان عليهما السلام المملكة المقدسة في فكرهم الديني والتاريخي، وصاغوا الأحداث التاريخية لحياة الآباء بصورة تبين أسس علاقتهم بالأمم من حولهم وتصورهم لأنفسهم وللكون من

---

1 – انظر: فنكلشتاين، إسرائيل – سيلبرمان، نيل أشر – التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها – ص 69 – 75.

2 – هويدي، أحمد محمود – تاريخ الآباء وديانتهم – رؤية نقدية في ضوء نظرية مصادر التوراة – مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – المجلد 6 العدد 1 – يناير 2000 م – ص 209.

حولهم ومكانتهم فيه، وإعطاء هذه العلاقة وهذا التصور بعدا دينيا يرجع لعلاقة الآباء بإلههم ووحيه لهم، فيمنحون كل شيء في معتقدهم بعدا دينيا مرتبطا بحياة الآباء وبعدا إلهيا من خلال الوحي الإلهي لهؤلاء الآباء.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

وفي الختام أحمد الله تعالى على توفيقه ومنه وفضله علي بأن أعانني على الكتابة في هذا الموضوع الذي أرجو الله تعالى أن يكون فيه الفائدة والنفع للباحثين والدارسين، وأن أكون قد أسهمت من خلاله بتوضيح قضية لطالما أشغلتني واستفزت مشاعري الأكاديمية والمعرفية.

وحيث انتهى بنا المطاف إلى هذا الحد من هذه الدراسة حان وقت تسجيل أهم نتائج البحث والمتمثلة في الآتي:

أولا: إن العلاقة بين الآباء وتاريخهم وتأسيس الديانة اليهودية علاقة منقطعة من خلال الدراسات والأدلة التاريخية المرتبطة بأصلهم التاريخي القديم وعلاقتهم بالأمم التي عاشوا بينها، وإن عروبة الآباء وثقافتهم العربية الآرامية السريانية هي من القضايا التي عمل اليهود على إخفائها لفصلهم عن هذا الأصل، وإثبات خصوصيتهم باليهود والديانة اليهودية وحدهم.

ثانيا: عدم ارتباط وصف الآباء بالعبرانيين باليهودية دينيا أو تاريخيا وإن هذا الوصف ليس له أية دلالة دينية وإنما يدل على حالة اجتماعية ووضع اجتماعي لا غير، وإن عبرانية الآباء طارئة على حياتهم وليست أصلا فيها.

ثالثا: إن إبراهيم عليه السلام –أبرز شخصيات الآباء التاريخية– يعد أبا روحيا ونبيا لجميع الأمم التي عاش بينها وليس أبا لبني إسرائيل الذين تفرع من أصلهم اليهود وذلك بدلالة التوراة نفسها ودلالة التاريخ.

رابعا: إن اليهود واليهودية لا تحمل الإرث الثقافي واللغوي الذي كان سائدا في عصر الآباء وتاريخهم الأمر الذي يدل على حالة الانقطاع بينهم وبين علاقتهم باليهودية بوصفها ديانة خاصة.

خامسا: إن الديانة اليهودية تأسست بعقائدها وتشريعاتها وعباداتها وتاريخها وتعاليمها وصفاتها الاجتماعية في فترة السبي البابلي بعد عصر الآباء التاريخي بأكثر من ألف عام وهذا الأمر يعد من أقوى الأدلة على انقطاع العلاقة بين الآباء وتاريخهم وتأسيس اليهودية كديانة.

سادسا: إن كتبة التوراة قاموا بخلق تاريخ خاص للآباء في فترة السبي ربطوه بشكل وثيق بديانتهم اليهودية ونسبوها إليهم من خلال استخدامهم منهجية الإسقاط التاريخي الديني التي تسعى إلى تحقيق عدد من الأهداف التي تخدم توجهات اليهود وفكرهم الديني والتاريخي في فترة السبي البابلي والفترات التاريخية التي لحقتها ولا تخدم التوثيق التاريخي الحقيقي والواقعي لتاريخ الآباء وحياتهم.

سابعا: لا يجوز علميا وتاريخيا التأريخ للديانة اليهودية بشخصيات الآباء أو بعصرهم بأي حال من الأحوال ويجب التاريخ للديانة اليهودية ابتداء من عصر السبي البابلي وما بعده.

ثامنا: إن أغلب الدراسات العربية المعاصرة أخطأت من ناحية علمية وتاريخية في نسبة الديانة اليهودية للآباء وعصرهم، وأخطأت في التأريخ لها من خلالهم دون الإشارة إلى أن هذه المنهجية التاريخية هي الطريقة المتبعة عند اليهود ولا تمثل حقائق التاريخ ومعطياته، ويجب الوعي بتأثير هذه المنهجية في التأريخ للديانة اليهودية على القارئ العربي والجيل المتعلم بشكل عام.

ومما توصي به هذه الدراسة:

أولا: أوصي كل باحث أو كاتب في الديانة اليهودية أن يقدمها للقارئ العربي بصورتها الصحيحة والعلمية وأن يؤرخ لها بالانسجام مع حقائق التاريخ لا من خلال التقليد اليهودي. وأن يتم البدء بالتأريخ للديانة اليهودية بدأً بفترة السبي البابلي، وإن تم البدء بعصر الآباء فتجب الإشارة إلى أن هذه المرحلة متعلقة بالتقليد اليهودي الديني والتاريخي وليست متعلقة بالمنهج العلمي الصحيح.

ثانيا: أن يتم الحذر من تقديم الآباء عليهم السلام لأبناء جيلنا المعاصر على أساس أنهم اليهود الأوائل وأن اليهودية بدأت من عندهم وبعصرهم، لما يؤثر في

التصور المعرفي والعلمي والأكاديمي في تصورهم للديانة اليهودية فلا يمكنهم من وضعها في إطارها التاريخي الصحيح فتختلط لديهم المفاهيم والتصورات الإسلامية عن هؤلاء الآباء "الأنبياء" مع التصورات التي تقدمها له الدراسات العربية المعاصرة.

ثالثا: أوصي أساتذة الدراسات الدينية المقارنة في جميع الجامعات العربية أن يختاروا لطلبتهم مراجع علمية صحيحة في مضمونها العلمي وبعيدة عن هذه الإشكاليات في التأريخ للديانة اليهودية في مقررات مقارنة الأديان التي يتم تدريسها في الجامعات.

رابعا: أوصي الباحثين المختصين بالدراسات الدينية التاريخية والمقارنة بتعميق البحث والدراسات للإشكاليات الكثيرة التي تتضمنها كثيرا من الدراسات العربية ونقدها لتصحيح مسار هذه الدراسات بما يتوافق مع الطرح العلمي الصحيح.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر والمراجع العربية

1. القرآن الكريم
2. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل– البداية والنهاية– دار إحياء التراث العربي، القاهرة– ط1، 1988م.
3. أبو سعده، رؤوف – من إعجاز القرآن، العَلَم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن – وجه في إعجاز القرآن جديد – دار الهلال – بدون تاريخ الطبعة ورقمها.
4. ايبش، أحمد – التلمود كتاب اليهود المقدس – دار قتيبة، دمشق – بدون تاريخ الطبعة ورقمها.
5. الباش، حسن – القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان– دار قتيبة، دمشق– ط 2، 2013
6. بشارة، يوسف – عثامنه، رشاد – القاموس الشخصي عبري عبري عربي – دار الهدى– ط 2007
7. البهنسي، عفيف– الشام والحضارة دراسة تاريخية – وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية – ط 1986
8. الجمل، أحمد – مدخل إلى تاريخ أدب اللغة الآرامية السريانية – بدون دار النشر، حقوق الطبع للمؤلف – ط 2، القاهرة، 2018
9. حبيب، باسم محمد – " الديانة اليهودية – نشأتها وتطورها – المقال منشور في موقع معابر على شبكة الانترنت على الرابط / *http://maaber.50megs.com/issue_november11/spotlights3.htm*
10. حسن، محمد خليفه – علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية – دار الثقافة – القاهرة – طبعة سنة 1988 م.
11. حسن، محمد خليفه – تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة – دار الثقافة العربية، القاهرة – ط 2002
12. حسن، محمد خليفه – تاريخ الديانة اليهودية –دار رؤية للنشر، القاهرة – ط 1، 2016

13. حسين، عبد الله – المسألة اليهودية – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – ط 2012
14. حقي، أحمد علوان – أثر عزرا في الديانة اليهودية – مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – المجلد 23 العدد 75 – ديسمبر 2008
15. خشيم، علي فهمي – آلهة مصر العربية – الدار الجماهيرية، ليبيا، مصراته – دار الآفاق الجديدة – الدار البيضاء– ط 1، 1990 م
16. الخطيب، محمد أحمد – مقارنة الأديان – دار المسيرة، عمان – ط 1، 2008 م
17. داوود، أحمد– العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود– دار المستقبل، دمشق– ط 1، 1991
18. الزغبي، تركي – اليهود وارض كنعان – دار رسلان، دمشق – ط 2012
19. السعد، جودت – أوهام التاريخ اليهودي – الأهلية للنشر، الأردن – ط 1، 1988
20. السعدي، طارق خليل – مقارنة الأديان – درا العلوم العربية، بيروت – – ط 1، 2005
21. سعفان، كامل – اليهود، تاريخ وعقيدة – دار الاعتصام، القاهرة – ط 1988
22. السواح، فراس – آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي– دار علاء الدين، دمشق – ط 1، 1995
23. السواح، فراس – موسوعة تاريخ الأديان – اليهودية – جون نوس – ترجمة عبد الرزاق العلي – دار علاء الدين، دمشق – ط 2، 2010
24. سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – دار الأمل، الأردن – ط 2003
25. سوسه، أحمد– العرب واليهود في التاريخ – دار العربي، دمشق– ط 2 بدون تاريخ الطبعة.
26. شحلان، أحمد، وآخرون – لغات الرسل وأصول الرسالات – منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، الرباط – ط 1، 2002
27. شلبي، أحمد– مقارنة الأديان–اليهودية – مكتبة نهضة مصر، القاهرة– ط 8، 1988
28. شنودة، زكي – المجتمع اليهودي – مكتبة الخانجي، القاهرة – بدون دار النشر، بدون تاريخ الطبعة

29. الصمادي، إسماعيل ناصر – التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية – دار علاء الدين، دمشق – ط 1، 2005
30. الطبري، محمد بن جرير – تاريخ الأمم والملوك – دار الكتب العلمية، بيروت – ط 1، 1407 هـ
31. طعيمه، صابر – التاريخ اليهودي العام – دار الجيل، بيروت – ط 3، 1991
32. ظاظا، حسن – الساميون ولغاتهم – دار القلم، دمشق – ط 2، 1990
33. عبد العليم، مصطفى كمال– راشد، سيد فرج – اليهود في العالم القديم – دار القلم، دمشق – الدار الشامية، بيروت – ط 1، 1995
34. عبده، سمير – السوريون والحضارة السريانية – دار الحصاد، دمشق – ط 1، 1998
35. عرابي، رجا عبد الحميد – سفر التاريخ اليهودي – دار الأوائل، دمشق – ط 1، 2004
36. العقاد، عباس – موسوعة عباس العقاد – إبراهيم أبو الأنبياء – دار الكتاب العربي، بيروت – ط 1، 1970
37. العلوي، أحمد بابانا – اليهودية الدينية والتاريخية – مجلة الملتقى، المغرب – العدد 30 – 2014
38. عمر، أحمد مختار – تاريخ اللغة العربية في مصر – الهيئة المصرية العامة، القاهرة – ط 1970
39. قنصوه، صلاح – وآخرون – قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم –دار الكلمة، القاهرة – ط 1 2004
40. المرادي، نوري – شنعار أرض اللاهوت ومدفن الأسرار – دار الحصاد، دمشق – ط 1، 2006
41. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين – أخبار الزمان – دار الأندلس، بيروت ط 2، بدون تاريخ الطبعة
42. المسيري، عبد الوهاب– موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية– دار الشروق، القاهرة – ط 1، 1999

43. مهران، محمد بيومي – بنو إسرائيل – دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – ط 1999

44. هويدي، أحمد محمود – ديانة الآباء وتاريخهم في ضوء نظرية مصادر التوراة – مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة– المجلد 60 العدد 1 – يناير 2000

45. وافي، علي عبد الواحد – اليهودية واليهود – دار نهضة مصر، القاهرة – ط 2، 1981

46. ولفونسون، إسرائيل – تاريخ اللغات السامية – مطبعة الاعتماد، مصر – ط 1، 1929

ثانيا: المراجع الأجنبية المترجمة

1. بن ميمون، موسى – دلالة الحائرين – ترجمه من العبرية الدكتور حسين اتاى – مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – ط 2002 م
2. جلوب، فون باجوت – السلام في الأرض المقدسة تحليل تاريخي لمشكلة فلسطين – ترجمة وتأليف د. رشاد الشامي – بعنوان " اليهود واليهودية وفي العصور القديمة، بين وهم التكوين السياسي وابدية الشتات" – المكتب المصري للنشر، القاهرة – ط 1، 2001 – الكتاب باسم المترجم.
3. رابين، حاييم – مختصر تاريخ اللغة العبرية – ترجمة د. طالب القريشي– بيت الحكمة، بغداد – ط 1، 2010
4. سميث، روبرتسن – محاضرات في ديانة الساميين – ترجمة د عبد الوهاب علوب– منشورات المجلس الأعلى للثقافة – المشروع القومي للترجمة – القاهرة – ط 1997
5. سومر، دوبونت – الآراميون – تعريب الأب البير آبونا – ب. د – ط 1963 الموصل
6. فايرستون، روبن، وآخرون – ذرية إبراهيم، مقدمة عن اليهودية للمسلمين–معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان– اللجنة اليهودية الأمريكية – ترجمه الى العربية عبد الغني بن إبراهيم – بدون دار النشر، بدون تاريخ الطبعة

7. فنكلشتاين، إسرائيل – سيلبرمان، نيل أشر– التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها – رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار – ترجمة سعد رستم – دار صفحات، دمشق – بدون تاريخ الطبعة.

8. لونوار، فريدريك – المصنف الوجيز في تاريخ الأديان – ترجمة محمد الحداد – المركز الوطني للترجمة، تونس – دار سيناترا، تونس – سلسلة فكر الزمان– ط 2012

9. مالمات، أبراهام – تدمور، حاييم – العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية– ترجمة د. رشاد الشامي – المكتب المصري، القاهرة – ط 1، 2001

10. موسكاتي، سبتينو – الحضارات السامية القديمة – ترجمة د. السيد يعقوب بكر – دار الكتاب العربي، دار الرقي – بيروت – ط 1986

11. هـ. ج. ويلز – موجز تاريخ العالم – ترجمة، جاويد، عبد العزيز توفيق– مكتبة النهضة المصرية، القاهرة– ط 1967

12. هليفي، يهودا بن شموئيل – الحجة والدليل في نصر الدين الذليل – ترجمته من اللغة العبرية – ليلى إبراهيم أبو المجد – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط 1، 2014 – العدد 2155.

ثالثا: المراجع الأجنبية، ومراجع التناخ اليهودي

1. التوراة العبرية – التناخ – توراه، نفيئيم، كتوفيم – طبعة دار داني سفريم " דני ספרים " – مدينة كريات جات " קרית גת ".

2. الفغالي، بولس– عوكر، أنطوان – العهد القديم العبري ترجمة بين السطور– الجامعة الإنطوانية– توزيع المكتبة البولسية – جونيه، لبنان – ط 1، 2007

3. *Arthur, Hertzberg -great religions of modern man – Judaism – George braziller – new York 1962*